المكتبة الثقافية
(٥١٣)

أوراق في الأدب والنقد

إبراهيم سعفان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

الاخـــراج الفنى :

محمد محمـــد عبد العـــال

الإهـــــداء

هالة وشيرين

الى ابنتى

ليعرفا أن الحياة كلمة

والكلمة حياة

دراسـات نقـدية

الحداثة والتجديد

الحداثة من القضايا الهامة التى تشغل الكتاب والمفكرين ، وترجع أهميتها الى اتصالها بحياتنا كلها وليس بالفكر .. وخطورة الحداثة فى انها تستهوى المغرمين بكل جديد والعاشقين للمغامرات بأى صورة من الصور حتى ولو أودت بحياته وحياة أمته .. ولمعرفة الغرب للعقلية العربية وأساليب تفكيرها المعتمدة على الاندهاش والانبهار بكل جديد يواصل الغرب التأثير الانبهارى هذا عن طريق تصدير كل ما هو جديد ليظل العقل العربى فى غيبوبة الدهشة والانبهار « لم يعد الغزو الثقافى الامبريالى الذى تعرض له منطقتنا العربية على وجه التحديد والعالم الثالث عموما مقتصرا على اشاعة القيم الاستهلاكية عن طريق أجهزة الاتصال والارسال والمجلات والكتب وأفلام الفيديو وصراعات الموضة وحتى فلسفة الهيبز والبانكس وحضارة الايدز بل تجاوزها الى غزو الثقافة العربية نفسها والأدب العربى المعاصر تحديدا فى محاولة لتغريب هذا الأدب وتخريبه وقطع صلته بالواقع الحياتى للشعوب العربية

واســقاط دوره فى المعركة التى تواجهها الأمة العربية ، وصولا الى اغلاق جبهته العنيدة التى ظلت حتى الآن تتبنى قضايـا الانسان العربى المعـاشية والمصيرية » (ابراهيم العبسى ــ الشعب الأردنية) ٠

والذى نريد أن ننبه اليــه هو خطورة هذه الحداثة لارتباطها بتخطيطات تخريبية للعقل العربى وتمزيقه والهائه عن التفكير فى قضاياه المصيرية المتعلقة بحضارته وكيـانه ومستقبله ٠

ولا يفهم من ذلك أننا ضد الحداثة فى مناحى الحياة اننا ضد كل ما يخرب العقـل العربى ويقضى على الفـكر الأصيل الذى يوحد بين العرب جميعا وهو الفكر الاسلامى لانه الخطر الحقيقى الذى يهدد مصالح الطامعين ، ويقف سدا منيعا فى وجه الغزو الثقافى بصوره المختلفة من اذاعة وتليفزيون ومجلات وفيديو ، تصدر الينا باسم الحداثة ٠

متى تكون الحداثة مفيدة ؟

تكون الحداثة مفيدة عندما ترتبط الحداثة بالجذور الذاتية العريقة لحضارتنا العربية الاسلامية عندما تكون نابعة من عاداتنا وتقاليدنا ٠٠ عندما تعالج مشاكلنا اننا كما يقول ابراهيم العبسى (لسـنا ضد الحداثة بمعناهـا

التطوری ، لسنا ضد الحداثة القادرة علی استیعاب مشکلات الانسان العربی واشـكاليات الحياة العربية بل العكس ، فهذا هو المطلوب أصلا ، وهو ما يتوافق مع مسيرتنا النضالية) ألا يحق لنا أن نصيح متى نفيق من هذا الخدر الذى يشل تفكيرنا ٠٠ حتى نخرج من دائرة الانبهار بما يصدره لنا أعداؤنا ، يجب أن نفيق من سباتنا حتى لا نتحول الى أراجوزات أو مهرجين فى سيرك أو الى رجال الجوف ٠

التجـديد الأدبى

عندما نتحدث عن التجديد وضوابطه فذلك من منطلق الحرص على شيوع الجدية فيما يطرح من محاولات تجديدية ولنتخـلص من التسـيب والضعف اللذين استشريـا فى الساحة الأدبية ·

وليس معنى هذا أننا ضد التجديد لأنه لا يمكن أن ينكر أحد أن التجديد يبعث الحركة والنشـاط فى نهـر الحياة ، ولكننا ضد المحاولات غير الجادة والتى لا يبغى أصحابها من ورائها الا الشهرة و « الفرقعة » فى الأوساط الأدبيـة وسرعـان ما تنتهى وينزوى أصحـابها فى ركن النسيان ، هذا خـلاف المحاولات التجديدية الجادة التى تطـبع بصماتها على صفحات التاريـخ ، لأنها اسـتمدت شرعيتها من التراث السابق عليها ومن اتفاقها مع الظروف الاجتماعية والثقافية فى زمنها ·

ورغم أن ذاكرة التاريخ الأدبى تحفظ لنا الكثير من هذه المحاولات والحـركات التجديدية المؤثرة فى حياتنـا

الأدبية الا أننا نجد ذاكرة معظم أصحاب المحاولات التجديدية التى تطل علينا بين فترة وأخرى تنسى دروس التاريـخ ، لأنه مازالت تطالعنا محاولات لا تتسم بالجدية مثل قصيدة المربعات أو قصيدة تستكمل معـانيها بالرسومات وأخرى مخلوطة بعصير العسل والليمون والبرتقال والبلح الأمهات أو قصة يبلع فيها الفأر البحر ـ سلسلة الرماد ـ ان مثل هذه المحاولات فى رأينا ليست انعكاسا للوضع الثقافى كما يدعون وانما هى انعكاس للحالات النفسية لأصحابها • نريد أن نقول لهواة التجديد كفى تقليدا أعمى ولينظروا الى الأمور بشىء من الجدية • حتى لا تصـبح أعمالهم رمادا تـذروه الرياح •• فـأما الزبد فيذهب جفـاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض « صدق الله العظيم » •

واذا كان استخدام الغموض فى العمل الأدبى يتطلب مهارة فنية ، فان الوضوح يتطلب مهارة أكثر ••• وذلك لأن الحد الفاصـل بين الوضوح والبساطة الفنية المطلوبة والبساطة الساذجة خيط رفيع ان لم يحافظ عليه الفنان القدير سقط فى هوة السذاجة والسطحية ، وما أكثر هؤلاء الأدباء الذين استغلوا المناداة بالوضوح والبساطة والبعد عن الغموض ، ودخلوا الى ميدان القصة من هذا الباب كما استغل الكثير من الشعراء المناداة بالشعر الحديث والشعر المنثور ودخلوا أيضا من هذا الباب وسودوا الصفحات بهذا الغثاء وسودوا الحياة أيضا •

والوضوح المطلوب أكثر صعوبة كما قلنا لأنه يتطلب دقة فى اختيار المضمون ودقة فى استخدام اللغة لأن اللغة ليست حجارة ترص بجوار بعضها ولكنها شحنة من العواطف والأحاسيس تتبين دلالتها الفنية من استخدامها واضفاء شحنة الكاتب العاطفية عليها مما يجعلها تنعكس فى نفس القارئ بمعنى معين وتفجر فيه أحاسيسه ومشاعره ، اللغة ليست مجرد علامات أو اشارات نستخدمها لنشير بها على وجود شيء أو سواه ، وانما هى رموز تتضمن شحنا من المشاعر والاحساسيات ولذلك هناك بعدان للغة البعد الخارجى والبعد الداخلى وهى اللغة الأدبية ، والكاتب القادر هو الذى يستطيع أن يستخدم اللغة استخداما أدبيا .

وكما يقول كولردج عن الشعر انه أفضل الألفاظ فى أفضل الأوضاع أى أنه لا يمكن استبدال لفظة بأخرى والا اختل سياق العمل الأدبى .

ليس الوضوح والبساطة هما التساهل فى استخدام اللغة والانحدار بالعمل الأدبى الى أسلوب الحكى الساذج المتخم بالتفاصيل التى لا لزوم لها التى تهبط بالعمل الأدبى ...

والحقيقة اننا فى الوقت الذى نغرق فى الغموض ونناقشه كقضية هامة نجد أن أوربا تخطت هذا وعادت الى الوضوح والبساطة فى الشكل والعمق فى المضمون ، مثلا نجد كاتبا أمريكيا مثل ريموند كارفر يصدر مجموعة

قصصية ۱۹۸۱ ، يفاجأ القارىء بأسلوبه الجديد ورؤيته الجديدة وطريقته الجديدة وقالوا عنه ان هذه الأشياء رفعته الى مكانة كتاب القصة الكبار وان نهجه هذا له تأثير غريب « ينبع من البساطة والسطحية لأنها بساطة تعطى ايحاءات تنذر بالخطر ، كما لو كانت قصصا بشعة الى حد الجنون فى سردهـا ، وتحذيرات ضـد الأشياء الخبيثة التى قد تصيبك اذا اخترت الطريـق الخطـأ ، أو نطقت الكلمة الخطأ ... وعالم كارفر هو عالم النـاس العاديين وغير الرائعين الذين لا لون لهم منصرفـين الى شؤون حياتهـم بلا لون ، وكيف يجعل من تأليفه عن أحداث حياتهم البسيطة دروسا فى الأخلاقيات الأصيلة عن سحر قوته كفنان فى الأدب » .

ان كارفر وغيره من الأدباء السابقين والمعاصرين فى الغرب والشرق الذين فهموا معنى البساطة والوضوح فى العمل الأدبى ، عرفوا كيف يوظفون كل امكانـاتهم الفنية والثقافية لاثراء العمل الأدبى والارتقاء به وعرفوا ان المهمة الأساسية للأديب أن يوصل ما يريد الى المتلقى وعليه أن يستخدم الطريقة المثلى لأداء هذه المهمة ...

ان كتابة عمل أدبى ليست سهلة وانما تحتاج الى جهد ومعرفة تامة بتقنياته ورؤية عميقة للكاتب ... ليتنا نعرف ذلك حتى لا يتحول الأدب الى أداة للتسلية ويدخله الأدعياء الذين يمثلون عبئا على الأدب فى كل مكان .

وليس معنى حديثنا هذا عن الغموض أننا ضد الغموض بعامة ولكننا ضد الغموض غير الموظف فنيا ويستغلق فهمه على المتلقى مما يقطع جسور التوصيل بين الكاتب والمتلقى ·· كما أن الغموض يفقد المتلقى متعة الاستمتاع بالعمل الفنى ·· وكما أننا ضد الغموض المستغلق فهمه فاننا أيضا ضد الوضوح البسيط الذى يصل الى حد السذاجة ·

وقضية الغموض والوضوح هذه شغلت القدامى والمحدثين ، فنجد الجاحظ يؤكد على وجوب ألا يكون اللفظ ساقطا سوقيا ولا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا ·

وبين على أدهم ــ رحمه الله ــ أسباب الغموض منها أن يكون الكاتب نفسه غير متأكد من معناه وهو يشعر شعورا غامضا بما يريد أن يقول ولكنه لم يكن له صورة واضحة ، ومنها أيضا نقص قوى الكاتب العقلية أو أن الكاتب لم يفكر قبل أن يكتب ·

وقال كولن ولسون « ان هؤلاء الكتاب الذين يكتبون اللامعقول يعانون من أمراض نفسية وعدم استقرار » ·

وعندما سئل اليوت عن أسباب الغموض قال أن سببه يرجع الى صعوبة التعبير فى طبيعة الموضوع ، وهذا الغموض يكون كامنا فى الأفكار التى يعبر عنها الشاعر ، وان من فضائل الشعر جمال النغم ثم الوضوح والاشراق · من هذا

يتضح أن الغموض المستغلق مرفوض وانه كلما كان العمل الأدبى والفنى شفافا يحسن الكاتب استخدام الرموز فيه كلما كان التوصل بين الكاتب والأديب جيدا على حد قول ريتشاردز فى كتابه « مبـادىء النقد » وهذه نقطة هـامة لا يلتفت اليها معظم الأدباء الشبان الذين يجرون وراء التقليد رغم محدودية قدراتهم الفنية التى لا تؤهلهم لخوض التجارب الجديـدة على أسس مدروسة ٠٠ ان هؤلاء الأدباء الذين يغرقون أعمالهم فى الغموض انما يعزلون أنفسهم عن القارىء وتنقطع الصلة بينهم ويتحولون الى مجموعة يكتب كل منهم للآخر ٠

ان مشكلتنـا الأساسية ترجـع الى أننـا نقلد كل ما يصدره لنا الغرب من أفكار ومذاهب دون النظر الى مدى اتفاقها مع بيئتنا وظروفنا الاجتماعية والنفسية ، ولذلك لا يكتب لمعظم هذه الأفكار والمذاهب البقاء والاستمرار لأنها غريبة عنا ٠٠ واذا كان النقل الأعمى عن الغرب استشرى فيما مضى لظروف اجتماعية وسياسية فاننا اليوم مطالبون بعد ما حققنا الكثير من التقدم الفكرى أن نمحص كل ما يصل الينـا ، وأن نتصـدى بشدة لكل الأفكار المخربة لنحمى شبابنا وثقافتنا من الضياع ٠

حركة الشعر الحديث الآن فى حاجة الى نظرة دارسة تقييمية لتنقذهـا من العقم الذى أصابها نتيجة النشـاط المتزايد من الشعراء خاصة الشبان ٠٠٠ ومما لا شك فيه

أن النشاط هذا الذى صاحب هذه الحركة أضربها أكثر من افادتها ٠٠ لقد اتسع بابها حتى دخل منه عدد كبير ممن انتسبوا اليها ٠٠ وللنظرة الأولى فى الشعر الجديد لم نر اضافات جديدة فمعظم الشعراء نسخة مكررة باهتة ٠ يجترون نفس الصور الشعرية ، ونفس الألفاظ ٠

والحقيقة أن هذا الكم من الشعراء المحدثين الآن استغلوا القواعد التى وضعها لشعراء الرواد لخدمة الحركة الشعرية الجديدة من استخدام للتفعيلة والتخلص من القافية لمواجهة متطلبات العصر استغلالا سيئا تطور الى ما أسموه الشعر المنثور ٠٠ مما أساء الى ذوق القارىء العربى وجعله ينصرف عن هذا الشعر الجديد ٠٠٠ ولنستمع الى ما يقوله مثلا الشاعر الجزائرى محمد الأخضر السائحى فى حديثه بجريدة « الرياض » حركة الشعر الحديث حركة نشيطة جدا ٠٠ وهذا النشاط هو الذى جعلها تفقد التوازن وتختلط فلا يتبين القارىء فيها الطريق لقد نشأت هذه الحركة أولا كتطوير للشعر القديم ، ولكن كثرة المنتسبين اليها وكثرة الاتجاهات فيها جعلها لا شعرا ولا نثرا ٠٠٠ أنا لست ضد الشكل الفنى ، ولكننى ضد المضمون لأنه غير موجود أو غير واضح فى أذهان هؤلاء الشعراء ٠٠ ان هناك فى هذا اللون الجديد شعرا جيدا ولكن أكثره بعيد عن الشعر لأنه ضرب من الهوس أو من الكلام اللامسؤول » ٠

ولنستمع أيضا الى رأى الشاعر نزار قبانى (جريدة البيـان ١٤/١/١٩٨٥) . « الجيل الأدبى الحالى جيـل مستعجل ، فهو يريد أن يفتح الدنيا بما يسمونه الحداثة دون أن يمتلك الأداة والوسيلة ودون أن يقرأ صفحتين من ديوان الشعر العربى . انهم يريدون أن يغتالوا المتنبى دون أن يقرأوا قصيدة واحدة له ، ويريدون أن يغتالوا أبا تمام دون أن يتشرفوا بمعرفته ، ويريدون أن يكتبوا قصيدة فى الفراغ أو على الريح ، والقصائد المكتوبة على الريح لا بد أن يجرفها الريح . ان مشكلة الضياع التى نتحدث عنها هى مشكلة انعدام الثقافة أو هبوط المستوى الثقافى فى العالم العربى . وحين لايعرف مدعو التجديد قديمهم فكيف يمكنهم أن يضعوا جديدهم . لذلك انصرف الجمهور العربى عن شعر الحداثة وأدار له ظهره لأن هذا الشعر لا يمثل له شيئا ولا يقدم له شيئا ولا يغير من حياته شيئا ان المتنبى لا يزال موجودا بيننا حتى اليوم لأنه بشعره استطاع أن يكون جزءا من أفكارنا ومشاعرنا أما أكثر شعراء الحداثة فهـم كالسياح الأجانب يدخلون المدن العربية ويخرجون منها دون أن يحس بهم أحد » .

أعتقد أن هاتين الشهادتين تدلان دلالة واضحة عما وصل اليه الشعر الحديث من تسيب وأصبحنا نرى الساحة الأدبية العربية تغص بهؤلاء الشعراء الذين يدعون التجديد مما جعل بعض الشعراء الكبار والذين لهم تأثير فى الحركة

الشعرية الجديدة يعودون الى الشعر العمودى .. لقد توقفت حركة الحديث وأصابها العقم وأعتقد أنه مطلوب الآن دراسة واعية لحركة الشعر الحديث ووضع ضوابط تعيد للشعر الحديث مكانته . ولحركة الشعر الحديث حيويتها لبعث الحياة فيها لتواصل الدور الفعال الذى بدأه الرواد .

يثير أنصار الحداثة فى الشعر الجدل حول عناصر هذه الحداثة ورؤيتهم لها من خلال اللغة والمضمون ، والزمن . ويرون الغموض عنصرا هاما فى الحداثة نتيجة استخدام الرمز الذى يستخدمه الشاعر تعبيرا عن ذاته ..

سأتحدث الآن عن عنصر الغموض باعتباره عنصرا هاما مستشريا بين الشعراء خاصة الشباب المقلدين دون وعى .

وبدءا نقول أن للشاعر أن يعبر عما يشاء بالشكل الذى يريده شريطة أن يصل ما يريده الشاعر الى المتلقى ، وأعتقد أن نظرية التوصيل التى أشار اليها رتشاردز فى كتابه مبادىء النقد وما أشار اليه النقاد العرب القدامى ومنهم الجاحظ الى ضرورة الوضوح فى العمل الأدبى ليحدث التواصل بين الأديب والمتلقى والدقة فى اختيار الألفاظ . وحددوا أيضا حدود استخدام الرموز .. بين مدى اهتمام النقاد بعلاقة العمل الأدبى بصاحبه وعلاقته بالمتلقى ومدى

استفادته من العمل الشعرى ، لأنه اذا لم يتحقق ذلك فسيعيش الأديب فى عزلة بعيدا عن قارئيه كما أنهم أرجعوا الغموض الذى يغرق فيه الشعراء فى العمل الشعرى الى عوامل نفسية تؤثر فى الأديب ، والغموض فى أنواع وقد ذكر محمد الهادى الطرابلسى (مجلة فصول العدد الرابع ٨٤) أنواع الغموض ، منها الغموض المقصود منه التعمية والتضليل ، ومنها أيضا غموض حديث غير معهود ، ويحصل هذا عندما لم يوفق الشاعر فى أحكام الصلة بين ما يريد من الشعر وما يريد الشعر منه ، وتكون النتيجة كلاما غامضا لا قدرة للشاعر على ازالة غموضه ولا يستطيع القارىء معالجته والنوع الثالث الغموض المتولد عن القصور والراجع الى التطفل مع الجهل ، وهذا الغموض يمثل عاملا كبيرا من عوامل اضعف أهمية الشعر فى حياة الناس وانصرافهم عنه الى غيره من الأنشطة الواضحة النفع ، أما النوع الرابع فهو « الناتج عن الحدة الشعرية أو كثافة الطاقة الشعرية على نحو يجعل النص الشعرى قابلا لتعدد القراءات قابلية تبرهن عن أدبيته وفى الوقت نفسه تكشف عن خصوصية الغموض الذى داخله وتحول الغموض من عنصر هدم الى عنصر بناء ، وتجعله علامة من علامات سمو الكلام فى النص وشعريته الملحوظة » ٠

لعلنا نكون بذلك قد بينا لأنصار الحداثة الغموض المطلوب الذى يخدم الشعر ويقربه من المتلقى ، فهو هذا

الغموض المنقطى المقبول الذى يفهمه المتلقى من خلال القراءة الهادية لفهم النص الشعرى والمعينة للمتلقى على الوصول الى عمق النص الشعرى وبذلك يحدث التواصل المنشود بين الأديب والمتلقى وهو الغاية المنشودة ٠

ويمكن القول ان معظم الشعراء المغرقين فى الغموض انما يتبعونه من باب التقليد أو الى لعدم وضـوح الرؤية عندهم وعدم الفهم لما يقولون ٠

ان وجود التواصل بين العمل الشعرى والمتلقى أمر لا بد أن يحرص عليه الأدبـاء على أن يحافظوا على منطقية العمل الأدبى وشفافية الرمز وحسن اختيار اللغة والابتعاد عن الغموض الذى يحطم جو التواصل بين المبدع والمتلقى ، ويفصل بينهم وبين واقعهم الذى يعيشونه ٠

الحداثة فى مفهوم بعض الأدباء الشبان هدم الماضى والتنكر للتراث كلية ، ويأتى هذا المفهوم من اعتقاد البعض منهم بأنهم جيل بلا أساتذة ٠٠ أى نشأوا دون جذور ضاربة فى أعماق الأرض تثبت أقدامهم وتصلب عودهم أمام عواصف الرياح القوية ٠٠ وقد يأتى هذا المفهوم أيضا من فئة أخرى تبحث عن الشـهرة بالمخـالفة فى الرأى وكل هذا مقبول لو قدم لنـا هؤلاء وأولئك نتـاجا أدبيا نحنى له الرأس ونعترف له بالعبقرية والتفوق ٠

والحقيقة التى أغفلها هؤلاء الشبان المقلدون لمن سبقهم على الدرب من الشعراء الكبار ان هؤلاء الشعراء أضافوا الى التراث الشعرى ما يعتبر جديدا وتطويرا يستحق الاحترام والدراســة والتــأمل ومن هؤلاء صــلاح عبد الصبور ، عبد الرحمن الشرقاوى وعبد المنعم عواد يوسف والسياب ونازك الملائكة وادونيس وغيرهم كثيرون ٠

لقد قدم هؤلاء ما قدموا من نتــاج شعرى جديد بعد دراسة متأنية واعية للانتاج الشعرى السابق ، ولم ينكروا أحدا من الشــعراء السابقين ، ولم ينــكر أحد منهم تراثه ولكنه اعاد النظر فيه بعين المحب المتفحص المدقق ليخرج ما يحويه من كنوز يستفيد بها ، وليعــرف الى أين وقف السابقون ثم يضيف بعد ذلك ٠٠ لقد انطلقوا بوعى لحركة التاريخ وبفهم لحركة التطور التى تتكون من حلقات تسلم كل حلقة الى الحلقة التى تليها٠٠لهذا كان النقاد يحاسبونهم على قدر ما قدموا ٠٠ فهل هؤلاء الشبان الذين ينــادون بالتمرد ويتنكرون لكل تراثهم ٠٠ ولا يعترفــون بشوقى وحافظ والمتنبى ٠٠ قدموا لنا ما يستحق النظــر والنقد ويتلاءم مع تمردهم هذا ٠ ونحن هنا نسوق ما قاله ادونيس وهو واحد من الشعراء الكبار الذين يؤمنون به ويقلدونه [فى حوار له فى جريدة الرياض العدد ٥٨٩٨ أغسطس ١٩٨٤ م] يقول عن الحداثة « الخطأ هو المفهوم الشائع عن الحداثة فى الشعر خصوصا يتصور البعض ان الحداثة

الشعرية هى الخروج عن الوزن والخروج عن القافية ·· هذه مسألة شكلية ·· ذلك مفهوم شائع وهو من أبسط المفهومات وأبسط الأشياء ·· نظرية خاطئة مائة بالمائة ·· انها حداثة سطحية كأن يقول لك أحد ·· المرء يصبح حديثا بمجرد تغيير ملابسه ·· هذه حداثة سطحية جدا ·· رغم ان الشكل مهم فى الآخر ·· أهم شىء هو الشكل لكن كانبثاق وكتتويج لحركة شاملة فى أعماق الناس ، فى الحياة والفكر ·· آنذاك يأتى الشعر لكى يعبر عن الحركة الداخلية ·· ولكن نتلهى سطحيا بتغيير الكلمات أو الأشكال كاننا لا نكتب وزنا ، هذا شىء سطحى وغير شعرى أساسا ·· هذا المفهوم الشائع من الحداثة · يجب أن نتخلص منه · يجب أو يرفض بتاتا ·· الحداثة نظرة شاملة للحياة والانسان « المجتمع بهذه النظرة الشاملة ، يجب أن تتغير مفهوماتنا التقليدية ·· قيمنا الشعرية ·· علاقاتنا باللغة ، وعلاقة اللغة بالأشياء » ·

ويقول أيضا عن المتنبى انه باق وكذلك الشعراء القدماء ·· هذه هى أهمية الفن ·· الفن هو روح التاريخ وروح الانسان · ان الشعراء فى العالم ، فى مختلف حقب التاريخ نجدهم كأنهم يتجاورون كأشجار تتجاور فى غابة واحدة عبر الأزمنة وعبر الأمكنة ·

لقد آثرت أن أنقل أكبر قدر من كلام ادونيس عن الحداثةوالتراث ·· لنبين للشباب الذين يقلدون ان من

يقلدونهم أساتذة وأعون لما يفعلون ، ولما يهدفــون اليه ، ويعملون كل شىء بعد دراسة واعية للتاريخ ليعرف أين موقعه تماما ٠٠ ومن هنا تأتى أهميتهم وخطورتهم ٠٠ فهل يفهم الشباب ويعقلون حتى يكونوا مهمين وخطرين فعــلا ويحنى التاريخ لهم الرأس فليحاولوا فللمجتهد ثوابان ان أصاب ثواب وثواب اذا أخطأ ٠

ويكفى الشباب فضـــل الاجتهاد ٠٠ فهـل نـكون مجتهدين بدلا من أن نكون تابعين ؟

حول عملية الابداع

الابداع الفنى عملية مستغلقة بالأسرار تجذب دائما انتبـاه الدارسين النفسيين والاجتماعيين لمعـرفة سر هذه العملية وخطواتها منذ ولادة الفكرة حتى ترى النور ومن هذه الدراسات كتاب للدكتور مصرى حنورة عن الابداع الفنى واشتمل على استطلاع الرأى عدد كبير من الأدباء لمعرفة خطوات عملية الابداع عند كل منهم ، دراسات اجتماعية للدكتور سيد عويس تتناول أثر البيئة فى ابداع الفنان ٠

وأحدث دراسة فى هذا المجال مقالة للأستاذ عبدالقادر الرباعى فى العدد الثانى من المجلد الثالث عام ١٩٨٥ من مجلة أبحاث اليرموك فىمعرض حديثه عن البديع فى الصنعة والخيال ٠ فيبين الحالات التى تطرأ على الشاعر أثناء عملية النظم وهى :

١ ـ مرحلة السكون التى يكون فيها الشاعر عاديا تختزن الدوافع داخله دون أن تخرج أو تحاول الخروج ٠

٢ ـ مرحلة الاثـارة التى تنجم من تجمع الدوافـع الكثيرة المختلفة التى تثور بقوة فكره وخصوصيته وانفعاله حتى يخرج منها ما يستوجب الخروج فى شكل موضوعى يركن اليه ، ويسـكن ما يجب أن يسكن حتى يخرج فى لحظة أخرى أكثر ملاءمة له ٠

٣ ـ العودة الى حالة السكون الأولى بعد أن يطمئن الشاعر الى انه استخدم من الأشكال ما يفى بحاجة دوافعه ولا تتأتى هذه الحالة الا بعد أن تصل القصيدة الى وضع ترتضيه نفسه ٠

ان الابداع الفنى عملية صعبـة تشترك فى صنعهـا عوامل ثقافية ونفسية واجتماعية ، كما انه يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية المبدع ولذلك يخرج العمل الفنى يحمل سمات صـاحبه النفسية والاجتماعية ولهذا نجد دراسات نفسية تناولت مسودات بعض الأدباء لمعرفة كيف يفكرون ، كيف يكتبون ، كيف يختارون الألفاظ ، وقد أشار الأستاذ زياد صالح الزعبى فى مقدمته لديوان شاعر الأردن مصطفى وهبى التل عشيات وادى اليابس الى أهمية هذه المسودات ودلالتها النفسية كطريق لمعرفة عملية الابداع الفنى عند

الأديب والأستاذ محمد عبد الهادى رحمه الله الذى قدم دراسات قيمة نشرت بمجلة الثقافة المصرية عن عملية الابداع عند يوسف السباعى ·

ان عملية الابداع الفنى ستظل مستغلقة تحتاج الى المزيد من الدراسات لمعرفة سرها وفك رموزها الغامضة وصولا لمعرفة الانسان ·



النقد التأثيرى والدراسة النفسية

التأثرية فى النقد أو الانطباعية ليست سهلة وبسيطة كما يتخيل البعض ، لأنها تعتمد أساسا على ذوق الناقد ٠٠ وحاسته الفنية ولن يتأتى لأى ناقد القدرة على تذوق العمل الأدبى والحكم عليه الا اذا كان مثقفا ومدربا تدريبا دقيقا من خلال قراءاته وممارساته النقدية والابداعية اذا كان مبدعا ولذا لست مع تعميم القول القائل بأن الناقد مبدع فاشل ٠٠ لأن معظم النقاد مبدعون ناجحون وقليل هم الفاشلون أو المعتزلون لعملية الابداع ٠

وميزة النقد الانطباعى انه يجعل الناقد يعيش العمل الأدبى بروح الفنان فيكون قريبا من العمل وتفاصيله وأسراره ، خلاف النقد العلمى المعتمد على النظريات الجاهزة التى يحفظها الناقد ويطبقها تطبيقا حرفيا سواء وافقت العمل الأدبى أم لم توافقه ، وهذا ما يضر بالعمل الأدبى كثيرا ٠٠ !! لانه لم يفهم أسرار هذا العمل ولم يتذوقه

بحاسة الناقد الفنان • وعندنا مثالان على ذلك : الأول طه حسين فى نقده الانطباعى للمتنبى والثانى على الراعى فى كتابه « فى الرواية المصرية » وقد أخذ على يحيى حقى مأخذا اعتبره هو من وجهة نظره وفق النظريات النقدية خطأ ورد عليه يحيى حقى مبينا الخطأ الذى وقع فيه نتيجة التطبيق الحرفى للنظريات •

وقد بين الدكتور محمد مندور الفرق بين النقد التأثيرى والنقد المنهجى وميزة كل منهما وقد جمع مندور بين الاثنين - بصورة متكاملة ولا ننسى أيضـا الناقد الكبير الأستاذ عبد اللطيف السحرتى رحمه الله - الذى جمع أيضا بين النقد التـأثرى والموضـوعى فى بسـاطة وسهولة بحيث استطاع أن يبسط المصطلحات النقدية حتى يسهل فهمها واسـتيعابها مع الغوص فى أعماق الكاتب وعمله الأدبى بمهارة الفنان ودقة العالم •

وقد بين ابن خلدون فى مقدمته أهمية معايشة الناقد للعمل الأدبى حتى يفهمه ويدرك بلاغته ويتكون عنده الذوق القادر على الحكم السليم « وأعرف ان الأذواق كلها فى معرفة البلاغة انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها حتى تحصل ملكتها •

فالنـاقد الحقيقى الذى يستطيع الحكم على العمل الأدبى هو الناقد الذى يجمع بين الذوق والعلم • فالذوق

وحده لا ينفع والعلم وحده لايفيد أيضا فالتأثرية (الانطباعية) والمنهجيــة لا غنى عنهما فى عملية النقد على أن يســتفيد الناقد من كلا العنصرين فلا يعتمد على ذوقه فقط فى البساطة ولا يعتمد على المنهجية أو الأكاديمية باسم الموضوعية فتضيع شخصيته ويتحول الى ناقــل لنظريــات وتزخر دراسته بالأسماء الأجنبية وغير الأجنبية ويتوه فى خضم هذه الأسماء والنظريات ويغرق ولا يجد من ينقذه ٠

والدراسة النفسية للأدب دراسة هامة وضرورية لأن العلاقة بين الأديب وابداعه علاقة متينة فالابداع تعبير ذاتى بجانب انه تعبير جماعى ٠٠ فيتأثر الابداع بالحالة الشعورية للأديب سواء كانت فرحا أو حزنا ، أو ثورة أو فخرا ٠٠ ألخ ، وينعكس أيضا بشكل أدق على لغته واسلوبه وصوره٠ وقد تنبه النقــاد العرب القدامى الى العــلاقة النفسية بين الأديب وابداعه الشــعرى ، فسموا البحور وفقا للحــالة الشعورية للشاعر ، وحتى أحكامهم النقدية تدل على النظرة النقدية النفسية للابداع فقالوا مثلا أشعر الشعراء زهير اذا رغب ، والنــابغة اذا رهب ٠٠ فهذا يدل على أن الدراسة النفســية للأديب هــامة ولها جذور فى تاريخنــا الأدبى القديم ٠٠

وقد اهتم أيضــا بهذه الدراسات النقاد المعــاصرون وكان من أوائــل هؤلاء المهتمين الأســتاذ خلف الله أحمد عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رحمه الله ــ فى كتابه

من الوجهة النفسية ٠٠ ثم تبعته دراسات كثيرة فى هذا المجال ، وأحدث هذه الدراسات دراسة قيمة للأستاذ أبو فراس النطافى (مجلة أبحاث اليرموك ٠٠ العدد الأول ــ المجلد الثالث ــ ١٩٨٥) ٠

لقد تناول الباحث جانبا جديدا فى بحثه هذا فقد تحدث عن : حركات الروى فى الشعر العربى وقام باستقراء لحركات الروى عند كبار الشعراء القدامى والمعاصرين فوجد أن الروى المكسور نسبة ٧ر٤٣٪،والمضموم٨ر٢٦٪، والمفتوح ر٢٠٪ ، والساكن ٩ر٨٪ ٠

ويربط الباحث بين نسب استخدام الروى وبين الحالة الشعورية للشاعر ، ويرجع استخدام الكسرة بكثرة الى عدم استقرار العربى القديم فى مكان ولذلك فهى تناسب حالته الشعورية وتمثل الحركة والهبوط ٠٠ ويبين الباحث أيضا أن المتنبى استخدام الروى المضموم لنفسيته الثائرة ، ويقل استخدام هذا الروى عند شوقى لأنه عاش حياة هادئة راضية ٠٠٠

ان العلاقة بين الأدب والعلوم الأخرى مثل التاريخ ، وعلم النفس ، والاجتماع علاقة متينة ٠ ودراسة الأدب من أى زاوية من هذه الزاويا تثرى الأدب وتفيد الباحثين ٠ وما زالت مكتباتنا العربية فى حاجة الى المزيد من الدراسات النفسية والاجتماعية والتاريخية للأدب لتكشف جوانب جديدة فى عملية الابداع الأدبى ٠

كما أن التناول النفسى فى القرآن الكريم أسبق من العلم الحديث كما أشار الدكتور محمود بن الشريف فى مقاله « مجالات نفسية فى كتاب الله » فى العدد ٣٤ من هذه المجلة .

ونتبين هذا التناول النفسى فى الأداء القرآنى فى القصص حيث نجد التحليل النفسى لسلوك الشخصيات والبواعث النفسية والظروف المحيطة بالشخصيات .. ولذلك نجد القصة الحديثة بمواصفاتها التى نتحدث عنها الآن فى القرآن الكريم ...

وهناك موقف فى القرآن يبين المعالجة النفسية للمؤمنين لتشجيعهم على القتال، فى الآية الكريمة « اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » .

فالله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة يعالج المؤمنين معالجة نفسية حيث أرى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه عدد الكفار قليلا ، ليقللهم فى نظرهم ، ويذهب من نفوس المؤمنين الخوف من الكفار حتى ولو كان عددهم كثيرا ، وهذا ما يفعله الآن القادة فى العصر الحديث مع جنودهم فى المعركة .. نجدهم يثيرون فيهم الحماسة

والشجاعة باثارة نخوة الجنود للدفاع عن الوطن والشرف بالتقليل من شأن الأعداء ٠

ولأن المعركة فى هذه الآية معركة فاصلة بين الحق والباطل ٠٠ معركة لابد أن تعلو فيها كلمة الله سبحانه وتعالى ، لذا نجد الله سبحانه وتعالى العليم بذات الصدور ، العليم بما يدور فى نفوس المؤمنين من حديث حول عدد الكفار وقوتهم ٠٠ يتدخل فى هذه الآية الكريمة ليشد من أزر المؤمنين ليثبتوا فى المعركة فى مواجهة الكفار ٠٠٠

ان الأداء القرآنى النفسى بهذه الصورة الموحية كان له أكبر الأثر فى نفوس المؤمنين الذين أقدموا على المعركة بروح عالية ٠٠ والأمثلة القرآنية عن التناول النفسى فى القرآن السابق على العلم الحديث كثيرة ٠٠ ولكنى اكتفى بهذا المثل فما أردت به الا أن أكمل حديثا بدأه الدكتور محمود بن الشريف أثار فى نفسى الكثير من القضايا القرآنية التى أهتم بها ٠

توفيق الحكيم بين الفكرة ٠٠ والحياة

رسالة الأدب خدمة المجتمع والارتقاء به الى الصورة المثلى التى ينشدها أفراده ، وتزداد أهميته فى المجتمعات المتطورة حديثا والتى تبنى كيانها فانها فى مسيس الحاجة الى الأدباء من أجل المساهمة الفعالة فى بنائه وتثبيت أركانه ونشر مفاهيمه الجديدة بين أفراده وتثبيتها فى أذهانهم ، فأصبح الآن دور الكتاب مهما ومسئوليتهم خطيرة تجاه ضمائرهم وتجاه مجتمعهم ويتمثل ذلك فى قول توفيق الحكيم « ان مهمة الكاتب فى نظرى هى تربية الرأى وكل كاتب لا يثير فى الناس رأيا أو فكرا أو مغزى يدفعهم الى التطور أو النهوض أو السمو على أنفسهم ولا يحرك فيهم غير المشاعر السطحية العابثة ولا يقر فيهم غير الاطمئنان الرخيص ولا يوحى اليهم الا بالاحساس المبتذل ولا يمنحهم غير الراحة الفارغة ولا يغمرهم الا فى التسلية والملذات

السخيفة التى لا تكون فيهم شخصية ولا تثقف فيهم ذهنا ولا تربى فيهم رأيا ـ لهو كاتب يقضى على نمو الشعب وتطور المجتمع » ويستطرد الحكيم مؤكدا رسالة الكاتب « ان واجب الكاتب يحتم عليه أن يحدث أثرا سامى الهدف فى الناس وخير أثر يمكن أن يحدثه عمله فى الناس هو أن يدفعهم الى تكوين رأى مستقل وحكم ذاتى » ٠

لم تعد مهمة الكاتب اذن اليوم المتعة الفنية فقط دون أن يضمن عمله أية فكرة ولكن أصبح الكاتب يهتم بالعمل الجميل المتقن والفكرة التى يريد أن يوصلها الى الجمهور سواء كانت فكرة اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو فلسفية ، أى لم يصبح اخراج العمل الأدبى فى صورة جميلة هو الأساس دون الاهتمام بالأفكار ٠٠ وهل اهتمام الكاتب بفكرة معينة يشغله عن اتقان عمله ؟ بالطبع لا ، فدعوة الكاتب لأية فكرة اجتماعية أو أخلاقية ٠٠ الخ لا تشغله عن اتقان عمله واخراجه فى صورة فنية جميلة متقنة ٠ فالكاتب اليوم يحس بمسئوليته والواجب الملقى على عاتقه ، ولم يعد مستساغا ان ينفصل الكاتب انفصالا تاما عن أحداث مجتمعه ومشاعر أفراده ، لم يعد مقبولا منه ان يقف مكتوف اليدين ، بل عليه أن يسخر قلمه لخدمة أهداف الجماعة وتحقيق مثلها « فمنذ أقدم العصور وحين كان الفن مرتبطا كل الارتباط بخدمة المجتمع والدين ، سادت النظرة الاجتماعية اذا لم يكن هدف الفنان متجها الى

التأثير فى شعور الفرد وانما كان هدفه الأول التأثير فى الجماعة لتحقيق أهدافها وتأكيد مثلها العليا » ٠

فالمجتمعات اليوم فى تطـور سريـع وتتغـير تغييرا مستمرا طبقا لناموس الوجود وعلى الفنان أن يساير مجتمعه فى تطوره فما الفنان الا جزء من المجتمع ، ولقد عبر الحكيم عن ذلك فى أكثر من موضع فى كتبه ففى كتاب فن الأدب يقول : « كل ما نرجو ونأمل ألا يغرق الفكر يوما فى ثورة الأمواج فيختفى من الوجود ويذهب نفعه للناس ٠٠ يجب أن يبقى الفـكر دائما وان يـكون خادما للجماعـات فى حاضرهـا ، حافظـا للقيم العليـا اللازمة لتطورها الراعية لمستقبلها » ٠

والحديث عن الأفـكار التى يتناولها الفن ، الأفكار الاجتماعية والخلقية والسـياسية والفلسفية يدفعنـا الى سؤال : هل هناك علاقة بين الفن والفلسفة ؟ فى الواقع ؟ هناك علاقة بينهما وهو ان كليهما يبحث عن الحقيقة التى يبحث عنها الفن « هى الحقيقة العلمية أو الفلسفية مفسرة تفسيرا يسهل على الناس استيعابها وفهمها وذلك بفضل ما ينطوى عليه الفن من صور وألوان وأشكال ، هى لغة الفنان ووسيلته فى التعبير ، أى أن الفن هو الكأس التى يذاب فيها المسائل الفلسفية حتى يمكن فهمها وتقريبها من العقول وهذا ما لجأ اليه كثير من الفلاسفة مثل أفلاطون قديما وجان بول سارتر فى العصر الحديث ، وعندنا توفيق

الحكيم يتناول القضايا الفكرية فى انتاجه الأدبى فى قالب مسرحى ولقد أشارت الدكتورة أميرةحلمى فى كتابها فلسفة الجمال الى ذلك قائلة :

« وبذلك يكون الفن وسيلة للفنانين لتوضيح فلسفتهم الخاصة ونظرياتهم العلمية فمنهم من يخدم بفنه فلسفة يقتنع بها أو نظرية علمية يحاول أن يوضحها خلال انتاجه ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الفنان مجرد ناقل ؟ ولكنه يخلق الفكرة خلقا جيدا يضفى عليها من ذاتيته واحساسه وبذلك تخرج لنا الفكرة جديدة ، وكلما كانت رؤية الفنان للواقع أوضح وتعبيره عن صداها فى نفسه أصدق كلما زادت قيمة العمل الفنى » .

ولذلك كان الصدق الفنى ضرورة هـامة فى العمل الأدبى ، فالفن الرفيع هو الذى يثير فينا احساسا رفيعـا بالقيم الأخلاقية والجمالية ولكن هل معنى ذلك أن يكون الفن أخلاقيا فقط أى يصور الحسن دون القبح ، هناك اناس يرون انه يجب أن يكون أخلاقيا واناس آخرون يرون ان الفن واجبه فى تصوير الحسن والقبح ، واتفق فى هذا مع توفيق الحكيم ولقد أفصح عن ذلك بقوله « وانى لأشد الناس تمسكا بحرية الفن ، وادراكا لقدسية هذه الحرية ، ولا أتصور فنـا لا يصور الرذيلة كما يصور الفضـيلة ، ولا يبرز القبيح كما يبرز الحسن » وهنا يطالعنا أول مبدأ يؤمن به توفيق الحكيم وطبقـه فى انتـاجه الأول .. ان

توفيق الحكيم يشعر شعورا يقلقه بمهمة الفـن وبرسالته تجاه مجتمعه ويبـدو هذا الاحسـاس فى مقدمته لكتابه « المسرح المنوع » : « نحن اذن جيل مطالب بحمل مسئولية كاملة ازاء الأدب المسرحى ، لم تلتفت اليها الأجيال السابقة على مدى قرون » وهذا سر قلقه ، شعوره بحاجة مجتمعه الى نوع معين من الأدب ، فأخذ ينتـج بفيض حتى يسد تلك الفجـوة ويكمل ذلك النقص فهو يعبر عن ذلك بقوله فى المقدمة السابقة « أنا احاول فى قلق جنونى أن أسارع الى ملء بعض الفجـوة على قدر امكانى وجهدى وأن أقوم فى ثلاثين سنة برحلة قطعها الأدب المسرحى فى اللغات الأخرى فى نحو ألفى سنة » ٠

من هذا يتضح لنا الفنان الذى يؤمن برسالته ايمانا عميقا ، فانه يظل قلقا حتى يحقق الكمال لمجتمعه ، وليس بعجيب على أديب مثل توفيـق الحكيم أن نراه يميل الى القضايا الفكرية فهذا ميل غريزى فى نفسه منذ تفتح عقله وعرف طريق القراءة فلقد قرأ وهوفى سن الثامنة عشرة كتبا لهربرت سبنسر ولامارك ٠ فهو يشير الى ذلك فى كتابه « فن الأدب ، بعد حديثه عن شهرزاد وفكرة التطور » فهل نستخلص من هذا ان هناك قدرا يدفع الشخص الى قراءة ما سوف يلزم له فى عمله اذ أن طبيعة الشخص هى التى تميل به الى هذا اللون أو ذاك من ألوان الغذاء الفكرى ٠٠ ؟ ليس من السهل الجواب وان كنت أعتقد ان البذرة الأولى

التى ألقيت فى نفسى منذ الحداثة قد فعلت فعلها فى الخفاء ، واذا الحنين الى ذلك النوع من الكتب يعاودنى من حين الى حين – بل لقد بلغ بى الأمر حدا قد يدهش البعض ، فأنا أجد اليوم عسرا فى قراءة القصص وأجد اللذة فى مطالعة كتاب علمى » .

ثم يستطرد قائلا : « بقى أولئك الذين أعنيهم وأحب أن أقرأ لهم وهم فى الغالب من طراز العلماء المطعمين بالفلسفة » من هذا يتضح نوع الثقافة التى يميل اليها توفيق الحكيم والتى كان لها أكبر الأثر فى نتاجه الأدبى .. اذن الحكيم مفكر يحب الفكر فامتزج الفكر بطبيعته الفنانة .. فأخرج لنا عملا أدبيا فكريا فى قالب مسرحى ، ولعل هذا النوع من الفن الذى يعتمد على الحوار يتفق وطبيعته الهادئة الميالة الى الايجاز ونلمس ذلك فى حديثه عن الميل الطبيعى للحوار واتفاقه مع طبيعة الانسان فى كتابة فن الأدب : الحوار اذن كالشعر : استعداد طبيعى يميل اليه أولئك الذين يميلون لاقتضاب ذلك ان ألد أعداء الحوار الاطالة والحشو» كما ان قراءة الفلسفة كان لها الأثر فى كتاباته المسرحية ألا أننا لا نغفل استعداده الفطرى وميله الطبيعى كفنان الى هذا اللون من الأدب ، فهو قليل الكلام يميل الى الاختصار والتركيز ولقد وصفه الأستاذ يحيى حقى فى « خطوات فى النقد » فى مقاله توفيق الحكيم بين الخشية والرجاء يذكرنى هذا المقال بالسنة النهائية فى مدرسة

الحقوق • عام مضى بأكمله ، وليس بيني وبين الحكيم الا أقل من نصف متر ، ومع ذلك لا أذكر انني كلمته أو حييته ، شاب نحيف،أصفر الوجه ، بارز العينين صموت٠٠»ولقدكان لقراءةالكتب الأدبية العربية القديمة أثر أيضا فلقد تشربت نفسه بما اتسمت به هذه الكتب من ايجاز ويتمثل هذا في قوله « للمسرحية عندي اعتبار خاص ، ذلك ان الحوار بما فيه من ايجـاز وتركيز هو القـالب الأدبي القريب الى سليقتي المحبة للنظام ، فالفن عندي نظام والنظام عندي هو الاقتصاد ، أي بيان بلا زيادة ولا نقصان ٠٠ وبما كانت هذه الطبيعة عندي ميراثا قديما ، من أثر رواسب شخصيتنا العتيقة ، فالعرب كانوا يرون ، البلاغة في الايجاز « هكذا يتبين لنا استعداد الحكيم الفطري للأدب المسرحي واحساسه كفنان يشعر بواجبه شعورا يقلقه ، وهذا الشعور يدفعه الى الاخلاص في فنه والأخص لمجتمعه فهو يؤمن بأن الأدب خادم للمجتمع » ان مهمة الكاتب ليست في مجرد اقناع القارىء بل في التفكير معه ، ما أرخص الأدب لو انه كان وسيلة للهو ٠٠ لا ان الأدب طريـق الى ايقاظ الرأى ٠٠ لا أريد من الكتاب أن يريح قارئه ويلهيه ، انما أريد أن يطوى القارىء الكتاب فتبدأ متاعبه « فالحكيم هنـا يبين واجب الكاتب في المجتـمع ، ويجب أن يضـمن الكاتب » انتاجه شيئا مفيدا للقارىء من الناحية الخلقية أو الذهنية ، المهم أن يقدم عملا مهما لا أن يقدم عملا أجوف تافها لا فائدة منه ، يجب أن يقدم عملا يعيش مع القارىء بعد أن ينتهى

من قراءته ، ويثير في نفسه انفعالات شتى » وهذا يبين لنا اتجاه الحكيم في الفن فهو يؤمن بأن الفن للمجتمع والقول بأنه يميل الى الفن للفن قول أرى أنه غير صحيح طبقا لما أوردناه من أقواله وهنا نقطة ظلت عالقة بذهن الجمهور أريد أن ابينها وهى : ان توفيق الحكيم من أدباء البرج العاجى الذين لا يكتبون عن مشاكل الشعب ، فهذا القول خاطىء والسـبب فى هذه التسـمية أنه كان ينشر فى « مجـلة الرسالة » كلمات قصيرة بعنوان تأليف « من البرج العاجى » وكان يضمنها أفكارا وخواطر مختلفة وظن بعض الناس من هذا العنوان ان أدب توفيق الحكيم منعزل عن المجتمع وذلك لما تردد فى الأدب الفرنسى من اصطلاح الأدب العاجى الذى يقصد به الفن للفن ، وهذا التفسير بالنسبة لتوفيق الحكيم خطأ لأنه لم يكن يقصد فى تلك الكلمات أن يؤيد فكرة الفن للفن انما كانت مجرد عنوان لخواطره وأفكاره ٠

ولننظر أيضـا الى دفـاعه فى حديثه عن المسرحية وموضوعها والذى يختاره الكاتب فيقول « لهذا يتعين على المؤلف المسرحى أن يتخير من الأشخاص من تعقدت حياتهم الى الحد الذى يسـتطيعون بعد أن تكون قلوبهم موضعـا لانفعالات مختلفة ونفوسهم مظهرة لطبائع متباينة ، وعقولهم قادرة على التعبير والافصاح ٠٠ ولقد كان مؤلفو المسرح فى القديم يتخيرون أشخاصهم من بين الملوك والأمراء ، وعلية القوم ، يوم كانت الثقـافة وما يتبعها ــ من تعقد الحيـاة

والمشاعر والفكر – محصورة فيهم ، فلما انتشر التعليم والتثقيف فى العصور الحديثة وشمل أهل الطبقات المتوسطة فى الحضر فعقدت تبعا لذلك وتنوعت حياتهم وعواطفهم وعقولهم – اتجه المؤلف المسرحى الى الطبقة الوسطى ينتقى من بينها أشخاصه « ثم يتحدث فى موضع آخر عن هذه المشكلة المحيرة التى قاسى منها كثيرا ، وتظهر واضحة فى حديثه عن ميزة الفنان أمام بعض المشكلات التى يواجهها آ تلك هى مشكلة النظريات الاجتماعية والمبادىء السياسية التى تتصادم ، اليوم وتتشاجر فى عالمنا الحاضر ، فاذا أراد أن يقيم مسرحه فى محيط الملوك والتاريخ وبالفكر كما فعل شكسبير الانجليزى – فان التقدميين يقولون له هذه الرجعية ٠٠ أين الشعب ٠٠ أكتب عن الفلاح والعامل والجوع والفقر ٠٠ وتبسط فى لغتك وتواضع فى تفكيرك ليفهمك الدهماء ٠٠ لأن الفن هو لهؤلاء ٠٠ فاذا اتجه هذا الاتجاه انبرى له أخرون من المثقفين يقولون : هذا عمل لا وزن له فى عالم الأدب والفكر انما هو اسفاف يراد به التقرب الى العامة ٠٠ أكتب للخاصة فما الفن ألا لهؤلاء » ٠

والحكيم فى حيرته هذه كأنه يدافع عن نفسه ازاء ما أشيع عنه من انه من أدباء البرج العاجى الذين يترفعون عن تناول مشاكل المجتمع ٠ ولكنى أرى ان الفنان الأصيل عليه أن يتناول كل ما يدركه باحساسه من مشاكل مجتمعه سواء كانت هذه المشاكل مشاكل طبقة خاصة أو مشاكل

الشعب أو قضايا فكرية أو سياسية - والحكيم فنان مفكر، ولعل الطابع الذهنى الذى اتسمت به أعماله كلها قد أبعد المسافة بينه وبين جمهور القراء ·· وذلك لأن المستوى الثقافى لم يكن قد ارتفع بعد · ويأتى بعد ذلك اللغة يكتب بها · هل يكتب بالعامية أم بالفصحى ؟

وهذه القضية عالجها الحكيم بحكمة الفنان الذى يحس بمسئوليته الفنية فتراه يكتب مسرحياته الفكرية باللغة العربية دون اغراب فى اللغة ويكتب بعض مسرحياته الأخرى باللغة العامية دون اسفاف · والحقيقة ان توفيق الحكيم يثير بذلك قضية مازالت تناقش حتى الآن · وهى ، ما هى اللغة التى يجب أن يكتب بها الأديب ··· نحن نعرف ان لكل فن أداته وأداة الأدب ، اللغة والفن عمل جميل ولا يكتمل جمال العمل الفنى ألا بالفكرة واللغة والمحافظة على بنائه سواء كان قصة أو قصيدة أو مسرحية·· فلا يصح أن تقدم طعاما جميلا فى آنية قذرة - ستعافه النفس بلا شك - والفكرة حسب العمل الفنى واللغة قوية فهل يجب أن يكون الثوب باليا ؟ قطعا · لا وأنا أرى أن هؤلاء الذين يحبذون الكتابة باللغة العامية فانما يبحثون لهم عن مخرج يستطيعون منه التسلل الى الأدب ويحشرون أنفسهم فى زمرة الأدباء ويسمون ما يقدمونه أدبا لانه يرضى بالبسطاء السذج من الناس - وليست الكتابة بالعامية سهلة كما يتصور هؤلاء الذين ينادون الى الكتابة بها - ولكنها

تحتاج الى قدرة وبراعة فى اختيار الألفاظ العامية السليمة الغنية وهذه القدرة لا تتوفر ألا لعدد قليل من أدبائنا المتمكنين المالكين لأعنة اللغة بالنسبة للكتابة الفصيحة ، المتمتعين بحاسة فنية قوية بالنسبة للغتين الفصيحة والثابتة ، والحكيم يحس بهذه المشكلة احساسا شديدا ولقد بذل كل جهده للتوفيق بين اللغة العربية واللغة العامية فى مسرحية « الصفقة » ٠٠ واذا نظرنا فى أعمال الحكيم نجد أنه قد كتب بعض مسرحياته باللغة العربية والبعض الآخر باللغة العامية مثل بعض المسرحيات التى جمعها فى كتابه « المسرح المنوع » وبذلك نحس ان الحكيم يحاول جاهدا فى كل انتاجه أن يبحث عن الكمال فى الفن ، ولقد أشار الأستاذ أحمد مصطفى فى كتابه توفيق الحكيم الى هذه النقطة « والحكيم لا يهتم كثيرا بالزخرف اللفظى وهو ينتقل بين اللغة العامية فى بعض مسرحياته وقصصه حين يعرض للحوار الذى يصور بعض طوائف المجتمع تطويرا طبيعيا ، وبين اللغة الفصحى المراقبة حين يريد ابراز الأفكار العليا فى عرضه للقضايا التى تتصل بالانسان ومصيره أو باتجاهات ذهنية فلسفية ٠ فهو من هذه الناحية فى طليعة الثوار من مفكرى العصر على قيود اللفظ وصناعة الأدب ٠

فالأدب عنده لا يلتزم الا بالكمال الفنى ومراعاة مقتضى الحال ٠

وقضية أخرى تناولها الحكيم ، هل يجب أن يهبط الفنان بفنه الى الشعب أم يبقى فى القمة ويتركهم يصعدون اليه ؟ ٠٠ والحكيم يرى ان الفنان يجب أن ينزل الى الشعب ويعرض فنه عليهم ويعبر عن ذلك بعد أن يقارن بين الدين والأدب فى كتابه فن الأدب ، « لا جدال اذن فى أن الفنان لا يستطيع أن يبقى فى القمة ، حبيس فنه ، منتظرا أن تصعد اليه الجماهير فى جبله الوعر ، يحملون المصابيح فى أيديهم ويتصبب العرق من أبدانهم وهم يصيحون ٠ أين أنت أيها الفنان المعلق فى السحب ؟ جئنا نبحث عنك ، فلقد أدركنا بالفراسة ، أو بالحدس والتخمين انك فى ذلك المكان فهل عندك رسالة تبلغنا اياها ٠٠٠

لا يمكن بالطبع أن يقع ذلك ، ولكن المعقول أن ينزل ذلك الفنان حاملا رسالته تحت أبطه ليلتمس الناس ٠٠٠ وقوله هذا يبين احساسه برسالة الفنان ويبين انه مدرك تماما لما يجرى أن يكون عليه الفنان من مشاركة فى أحداث مجتمعه وتجاوب مع أفراده ولكن طابعه الفكرى الذى يغلب عليه جعله يميل الى الوحدة والهدوء ويتضح ذلك فى كتابه « تحت شمس الفكر » وهو يتحدث عن كيفية تمييز الحيوان للجمال « حصان بين مهرتين احداهما جميلة مليئة شهباء والأخرى قبيحة هزيلة عرجاء الى ايتهما يميل ؟ ما ترددت يومئذ أن أقول فى ثقة واقتناع الى الجميلة يميل ، ما وجه الترجيح ؟ لست أدرى وحبذا التجربة فهى الحكم الفصل »

لكنى يومئذ كنت أفكر تفكيرا صرفا فى أبراج عاجية اعتدت أن آوى اليها للتفكير الهادىء » .

ولذلك كان الحكيم بعيدا عن الجماهير عندما ظهر بكتاباته الذهنية التى تتطلب مستوى راقيا من التفكير لا يفهمه الا القليلون .. ولكن اليوم بعد التقدم الثقافى والفكرى الملموس أصبح الحكيم قريبا من العقول ، وبذلك ندرك أن الحكيم لم يضع نفسه فى برج عاجى ترفعا منه ولكنه كرجل مفكر فانه يحب الوحدة والهدوء حتى يتمكن من التأمل والتفكير، والحكيم لا يؤمن بحدود الثقافة بل يؤمن بأن الثقافة ملك للانسانية وليست وقفا على أمة معينة ونلمس هذا فى انتاجه فهو يميل الى الأفكار الانسانية أى لا يميل الى الاقليمية ، وهذا صحيح ، فالأدب هو اللغة التى يتفاهم بها جميع البشر واللحن الذى يجمع النفوس الشاردة ويتمثل هذا فى قوله :

« فالثقافة ليست بضاعة مادية لأمة من الأمم وانما ثقافة كل أمة ملك البشرية كلها لأنها خلاصة تفكير البشرية جمعاء ... ثقافة كل أمة ليست سوى عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال فليكن همنا جنى العسل دون النظر الى جماعات النحل » وهذا ما نحتاجه الآن فى هذه الفترة التى نعيشها من أجل بناء حضارتنا فنحن فى حاجة الى الأخذ من كل حضارة دون النظر الى الجنس ، والحكيم يحدد فى السطور الآتية ما يجب أن

نأخذه من حضارة الغربيين فيقول « نأخذ ما فى رؤوسهم وندع ما فى أنفسهم ، احساسنا ملكنا واحساسهم ملكهم فالشعور طابع أصلى لا ينقل ولا يستعار ولكن المعرفة ملك مشاع ، ومتاع يتداوله الجميع » ولا يلبث الحكيم أن أؤكد هذا المعنى فى كثير من كتاباته ففى كتابه تحت « شمس الفكر » يقول « لذلك أحب أن أقول لأدباء العربية الحديثة . لا تخشوا مطلقا من الباس أفكاركم الأثواب الأوروبية على شرط أن يكون طابع هذه الأفكار وروحها شرقيا محضا . وان يحس القارئ الأوروبى ازاء أعمالكم انه أمام نفس غير نفسه وشخصية غير شخصيته وان كان الرداء ليس غريبا عليه لأن الرداء ليس ملكا لأحد : انه ملك الحضارة والحضارة وليدة الحضارة التى سبقتها » .

ويقول فى موضع آخر : « ان الفكر البشرى ليس له حدود دولية انما هناك المزاج الخاص والطبيعة الخاصة التى تكيف تلك الثروة المباحة التى تنهل منها كل ثقافة وكل حضارة » .

وايمانه بقضية الانسانية دعا الغربيين الى الاهتمام بمؤلفاته ولقد قال الأستاذ أحمد مصطفى : « مما دعا الغربيين ولا شك الى تذوق بعض مؤلفات الحكيم والتعقيب عليها انه قد تناول فيها قضية العصر . وقضية الانسانية الخالدة فى قيمها العليا وفقا لمبادئه ومعتقداته . وهو فى

نظرته اليها يقف على الجانب الآخر بالنسبة للفيلسوف الأوروبى المعاصر جان بول سارتر زعيم المذهب الوجودى »٠

والحكيم مع ايمانه العميق بوحدة الثقافة فهو يدعو الى حضارة شرقية متميزة الروح ويشير الى ذلك الأستاذ أحمد عبد الرحيم مصطفى فى كتابه « توفيق الحكيم » والحكيم فى دعوته لهذا الاتجاه نجده يساهم فيه ويدلى بدلوه ، فهو موسوعى التكوين الثقافى ، فلا يقف فى مطلق المعرفة عند حد زمانى أو مكانى ـ له نظرته فى كل لون من ألوانها سواء كانت شرقية أم غربية ، قديمة أم محدثة ٠ ومن فن وأدب ودين ، الى علوم طبيعية ومباحث ميتافيزيقية لقد أخذ عن الحضارة الغربية عصارة تراثها كله ، وطرائفها كلها لا ليحفظها مغروزة بل ليتمثلها ويهضمها ويعود فيضيفها على الأدب الشرقى دما جديدا ٠

يرينا الجاحظ وأبا العلاء فى نظرة جديدة ويخرج أشعب فى ثوب فنى حديث من الأدب الشعبى الراقى ٠ ويستلهم ألف ليلة وليلة والقرآن والانجيل والمزامير فيخرج منها ألوانا مختلفة ، شرقية الفلسفة والروح ، يلبسها جميعا ثوبا جديدا من فكرة انسانية جديدة فى اطار القوالب والأساليب الفنية الحديثة ٠

والحكيم شرقى يحب شرقيته ولا يلبث أن يتحدث عنها كثيرا ويدافع عنها ويفتح كنوزها ويبين مميزاتها التى تمتاز بها عن سائر البلاد وهى الروح ، تلك الروح التى

يمتاز بها الشرق عن الغرب المادى ، تلك الروح بحث عنها محسن فى « عصفور من الشرق » وفى « عودة الروح » ٠

ان توفيق الحكيم يمثل مرحلة من مراحل انطلاقنا الفكرى وتطورنا الحضارى بما أدخله على الأدب العربى من فنون جديدة ولقد أشار الى ذلك الأستاذ أحمد عبد الرحيم مصطفى فى كتابه المذكور أنفا « وأما توفيق الحكيم — صاحب هذه الترجمة — فهو مجدد الأسلوب الفنى فى الأدب الحديث ، أدخل عليه فن الحوار الذى استقر على يديه استقرارا دائما فى أدبنا المعاصر ٠ كما أقر فى الفن والأدب قوالب خرى مثل اليوميات « يوميات نائب فى الأرياف » والاعترافات والرسائل « زهرة العمر والرباط المقدس » و « القصة الطويلة عودة الروح » وكلها ألوان لم يعرفها الأدب العربى من قبل على هذا الوضع الفنى الذى عرضه »٠

والحكيم يحاول جاهدا نقل التيارات الأدبية السائدة فى أوروبا الينا حتى لا نتأخر عن ركب الحضارة المتقدم وحتى نستطيع أن نسير جنبا الى جنب مع أوروبا فكريا ، ولا يسعنا ألا أن نشير الى مسرحيته « ياطالع الشجرة » وما تلاها بعد ذلك من مسرحيات نشرت فى الصحف « رحلة القطار » و « رحلة صيد » وهى مسرحيات امتداد لمذهب « ياطلع الشجرة » وهو مذهب اللامعقول الذى حمله الينا « مسرح الجيب » ٠

الخطـاب القصصى
فى مجموعة «صباح الخير»
الأفعـال ودلالتهـا الزمنيـة
من خـلال السـياق

يرصد نجيب محفوظ فى قصص « صباح الورد » وفى قصصه القصـيرة ورواياته السـابقة المتغيرات الاجتماعية والسياسية وأثرهـا على الأفراد نفسها وانعكاس ذلك على سلوكهم • ونجيب محفوظ عندما يصوغ ذلك انما يصوغه فى تكنيك فنى متين يتفـق كل تكنيك مع مضمون القصة مرتكزا على حدوته تمثل العصب الأساسى للعمل الفنى فى صياغة شفيفة ذات مستويين أو بعدين خارجى / داخـلى توحى بها الصياغـة الرمـزية التى يسـتخدمها الكاتب استخداما عبقريا •

وعالم قصص « صباح الورد » هو عـالم له طبيعته المكانية ذات النكهة الخاصة التى تنعكس بالتالى على المقيمين فى هذه الأماكن ، وقد حرص نجيب محفوظ كل الحرص

على أن يجعل القارىء يعيش فى أجواء هذه الأماكن ومع أناسها من خلال الوصف التفصيلى الدقيق للأماكن والشخصيات بصورة تجعلنا نتعرف بها الى دخيلة هذه الشخصيات ٠

واذا كان نجيب محفوظ انتهج فى واقعيته التفاصيل الكثيرة فى أعماله الفنية فاننا نراه ينتقل من الواقعية الكلاسيكية التى تعنى بالتفاصيل على حد قول أنور المعداوى الى واقعية تساير روح العصر تهتم بالتركيز والرمز معتمدا على ذكاء القارىء الذى يغنيه عن الشرح والتفصيل ٠

ونجيب محفوظ فى تفصيله وايجازه ندرك تماما مدى وعيه بهما وندرك أيضا تأثيره فى ذلك بالأداء القرآنى ٠

ورغم اهتمام نجيب محفوظ بالتفاصيل الا انه ـ كما يقول الدكتور محمد حسن عبد الله ـ « لا يستهلكه الوصف والسرد وصياغة الحكم وتلقين المبادىء وانما تلفته الظاهرة ـ لا الحادثة فيجعل جهده فى الكشف عن دوافعها الموضوعية وتقصى مظاهرها وتتبع آثارها فى البناء النفسى للفرد والعلاقات المتبادلة داخل الجماعة ٠٠ والنظرة التحليلية تقوم على خطين متوازيين من الشمول والتفتيت فهو يرمى ببصره الى الأفق البعيد ، ويكشف المسار العام لحضارة أمته وأفكارها » ٠

وفى قصص « صباح الورد » اعتمد فيها الكاتب على الاشارة والتلميح مستغنيا عن التفصيل ٠

الكاتب جعل ثورة يوليو ١٩٥٢ حدا زمنيا يفصل بين عهدين باعتبارها حدثا سياسيا كبيرا أثر فى المجتمع المصرى والعربى وأحدث تغيرا فى البنية الاجتماعية والسياسية مما كان له أثر نفسى ملحوظ فى الأفراد ، فقد تغيروا تماما عما كانوا عليه قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وهذا ما سجلته مثلا قصة أم أحمد ، وأسعد الله مساءك ٠٠٠

البطولة بين الفردية والجماعية :

لم يعد البطل الفردى فى الرواية الحديثة هو المحور الأساسى الذى يدور حوله العمل الأدبى بل أصبحت الشخصيات الجماعية التى تعبر عن شريحة من المجتمع هى المحور الذى يعتمد عليه الكاتب مصورا من خلال حركتها التناقضات الاجتماعية والمتغيرات السياسية والفكرية وانعكاس هذا كله على الفرد ايجابا وسلبا باعتباره اللبنة الأساسية فى هذا المجتمع ٠ نجيب محفوظ استخدم هذه الشخصيات ببراعة مسيطرا على حركتها عازفا بها سيمفونية عمله الفنى مستخدما « الجمل الفنية البارعة سواء جاءت عن قصد أو عفوية » ٠

تحليل الخطاب القصصى :

العمل الفنى يعتمد أساسا على اللغة كأدة لتوصيل المضمون لذا اختلفت اللغة من كاتب الى آخر ... ونجيب محفوظ يتميز بدقة استخداماته اللغوية وبصياغته لأسلوبه الذى أصبح يحمل سماته ويعرف به . نجيب محفوظ كاتب يحمل فى وجدانه تراث أمته وهذا التراث نجده واضحا فى نسيج أعماله الفنية .

واذا نظرنا فى قصة « أم أحمد » كمثال نجد الخطاب القصصى يعتمد على الشكل القصصى المستمد من التراث العربى المرتكز فى معظمه على الشخصية الرئيسية فى العمل الفنى كما نجده يستخدم العلامات المميزة للأماكن والشخصيات ، وهذه العلامات نستخدمها فعلا فى حديثنا عندما نصف الأماكن ، ويتضح ذلك فى أدبنا الفصيح والشعبى وقد بين ذلك الدكتور محمد خضر عريف فى بحثه « أسس التحليل اللسانى فى الخطاب العربى » « ان الخطاب العربى خطاب متمحور حول الشخصية الرئيسية فيه . ويميل المتكلمون بالعربية الى اختيار شخصية واحدة من الخطاب كشخصية رئيسية مما يجعل الشخصيات الأخرى تبدو ثانوية بأزاء هذه الشخصية وحين لا توجد شخصيات فى الخطاب يعمد العرب الى ايجادها عن طريق استعمال الضمائر ويمكن أن نستنتج كذلك ان الشخصيات أكثر أهمية من الأحداث فى الخطاب العربى حيث ينهمك

رواة الخطاب بالحديث عن الأشخاص أكثر من حديثهم عن الأحداث » ٠

ورغم صحة هذا من خلال ملاحظاتنا فى أحاديثنا الا أن نجيب محفوظ فى خطابه القصصى يربط بين الشخصيات والأحداث لأنها تساعد عنده بشكل كبير فى تشكيل شخصياته ، ومن الصعب الفصل بين الشخصيات والأحداث عنده ، كما فى قصة أم أحمد مثلا التى تعتمد على الشخصيات « آل سعادة — المستشار — زينب هانم٠٠الخ » ولكن فى الوقت نفسه نجد المزج بين الشخصيات والأحداث السياسية » ٠

لقد اعتمد نجيب محفوظ على الراوى مشركا معه أم أحمد مصدر الحكايات ليتيح لنفسه حرية التنقل والاختيار٠

ففى قصة « أم أحمد » فى السطر الأول يقول « لو رجعت الى الذاكرة ما وجدت الا صورا متناثرة لا تعنى شيئا » ٠

كما نراه يدقق فى استخدام الكلمات فى روايته للأحداث يقول « عملت — رأيت ، أخبرنى » تحديد لمصدر المعلومات ، أما بالنسبة للعلامات المميزة يتضح ذلك فى قوله « بيتها كان يقع ملاصقا للشرفة التاريخية لبيت القاضى يصل اليه الزائر من ممر ضيق متصاعد مترب ، فى جانبه

كارو قديمة مركونة مهملة وأحيانا حمارا واقفا يقتات التبن من مخلاة تطوق علاقتها عنقه » ٠

وفى تحديده لبيت آل سعادة يقول « وآل سعادة بعد آل العمرى يومضون فى غياهب الماضى الجميل تقوم دارهم كالقلعة فيما وراء القبو الأثرى العتيق ٠ هناك يطالعك جدار عال مركب من أحجار تاريخية أما مدخله ينفتح على عطفة جانبية » ٠

ويستخدم أيضا العلامات الزمنية ليبين زمن وقوع الأحداث فهو يذكر التواريخ أو الأسماء السياسية الهامة مثل ١٩١٩ ، سعد زغلول ، ١٩٥٢ ٠٠ الخ ٠٠

ويميل نجيب محفوظ الى استخدام الجمل الأسمية أكثر من الجمل الفعلية ليبعد أسلوبه عن الترهل ، واستنقاذا أيضا لاسلوبه السردى من الاعتماد على أفعال الحكى كان وكانت ٠٠

وكما استخدم نجيب محفوظ العلامات فى وصفه لتحديد الأماكن والأزمنة استخدمها أيضا فى وصفه للشخصيات بحيث نستدل عليها فورا من هذا الوصف اذا قابلتنا فى الطريق « هذا عبد الحميد بك سعادة رب الأسرة بقامته العالية وعوده النحيل ووجهه الأبيض المشرب بحمرة وعينيه الزرقاوين وأنفه الحاد الطويل المقوس ، يرفل فى

بذلة افرنجية وعمامة بيضاء متوكئا على عصا سوداء ذات مقبض ذهبى ٠٠ صارم النظرة ، مغالى الهيئة ينظر أمامه لا يعنى بما حوله » ٠٠٠

الأفعـــال :

عندما ننظر الى « فعل » ، « يفعل » نجد أن الأول يدل على انقطاع الحديث والثانى يدل على الحالية والاستمرار وذلك لأن النحويين العرب نظـروا للزمن من ناحية جهة الوقوع ماض وحاضر ومستقبل ٠ نظروا الى الزمن فى حالة تعلقه بالفعل من نـاحية الانقطاع (فعل) أو الاســتمرار (يفعـل) كما ان النحويين العرب لم يهتموا بالفعـل فى السياق ليتبينوا دلالة (فعل) (يفعل) من خلال وقوعها فى السياق ٠ ومسألة الاهتمام بالسياق مسألة لها أهمية فى تحديد معنى (فعل) (يفعل) تحديدا يبين زمن وقوع الحدث لأن الفعل ـ كما يقول مصطفى النحاس ـ يعبر عن مفهومـين هما : الحـدث والزمن ، وفى ذلك خلط بـين المستويات ، فالحدث مجال الانقطاع والاستمرار فى الفعل، والانقطاع يعبر عنه بالصيغة (فعل) والاستمرار يعبر عنه بالصيغة (يفعل) أما الزمن فنتيجة لعلاقة الفعل مع سواه من أنواع الكلم فى التركيب النحوى ٠٠ أى أن الحدث من وظـائف الصيغة والزمن من وظـائف السياق فالمستوى مختلف » ٠

وعند النظر الى استخدام نجيب محفوظ للأفعال نجده يستخدم الأفعال بدقة ففى قصة (أم أحمد) يقول « لو رجعت الى الذاكرة ما وجدت الا صورة متناثرة لا تعنى شيئا » (لو رجعت) تفيد الانقطاع لأن (لو) للماضى ولكنها فى هذا السياق تدل على المستقبل ، و (ما وجدت) تفيد الماضى المنتهى بالحاضر •

ـ « ما كان أجدر ذلك كله أن يتلاشى فى ظلمة الماضى » •

« ما كان » تفيد الزمن الماضى الممتد غير المحدود •

ـ ولعلى لمحت الرجل وابنه ••» •

فوضع « لعلى » قبل الفعل يفيد الرجاء •

وقس على ذلك استخداماته للأفعال فى بقية القصص وما قدمته ما هو الا نموذج نتبين من خلاله دقة نجيب محفوظ فى صياغة اسلوبه وحرصه على أن يكون اسلوبه جزلا متينا •

(★) مجلة « المنتدى » ، دبى ، العدد ٦٦ ، يناير ١٩٨٩ •

رواية « كنــوز قارون »
صراع للخــروج
من مصــيدة الــوهم
الى الحقيقــة

لقد تغيرت بنية الخطاب الروائى فى الكل فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وبخاصة منذ الستينات تبعـا للمتغيرات الاجتماعية والنفسية على الرواية حجما ومضمونا، فصدرت روايات صغيرة الحجم يبلغ عدد كلماتها ١١٫٠٠٠ كلمة أو أكثر ٠

وقد أدى هذا التركيز والتكثيف مما يقرب الرواية من الاسلوب الشعرى ، ويتطلب هذا من المبدع الاستعانة بكل الأســاليب المختلفة من الفنون الأخــرى :السينمائية والتشكيلية ليتمكن من توصيل أفكاره للمتلقى بهذا الشكل المركزى ٠

وهذا التغير فى بنية الخطاب الروائى وحجمه جاء انعكاسا لتغير ايقاع المجتمع الذى اتسم بالسرعة والتوتر والقلق وفقدان انسانه الصبر على قراءة الأعمال الابداعية الكبيرة ·· وهذا التغير فى الرواية حدث لأن الرواية تعبير عن هذه الحياة ولانها بنية حية تزخر بكل ما تمثله البنية الحية من تشكيل ملتحم التحاما عضويا بمادته وبوظيفته الفاعلة المؤثرة وهو معلول للواقع وان يكن قيمة مضافة الى هذا الواقع نفسه سلبا أو ايجابا وانه يوضح بنية بيولوجية التكوين النفسى اجتماعية التخلق ·

[الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجية]

فالصلة بين الرواية والواقع فاعلة قوية ·· الواقع الذى تتحدث عنه هو واقع ينشأ من التفاعل بين الحوادث المعاشية والتجربة الداخلية ·· ينشأ من التفاعل بين الانسان العالم الذى يحيط به ·

ولذا كان تأثر الخطاب الروائى يتأثر بما وصل اليه العصر وما يتطور اليه من وسائل وأجهزة وأدوات تكنولوجية وبما يحتدم ويتصارع فيه من قضايا ومفاهيم ومشاكل وقيم وعلاقات قوى اجتماعية وعالمية ·

لقد استوعب كثير من المبدعين هذا التغير وتجلى هذا فى انتاجهم الروائى فكانت روايات نجيب محفوظ بعد الثلاثية ، ورواية « تلك الرائحة » لصنع الله ابراهيم ورواية « الجد » لفؤاد قنديل ورواية « كنوز قارون » لفوزى صالح التى صدرت حديثا وموضوع دراستنا هذه ٠

وفوزى صالح شاعر وكاتب قصة ورواية وله جرأة على التجريب وصولا الى الأفضل وهذه الجرأة تنبعث من امتلاكه لأدواته الفنية وثقافته التى ينميها باستمرار ٠٠ لقد استطاع فوزى صالح أن يستفيد من أدوات الشعر فى القصة القصيرة والرواية ٠٠ فقصصه القصيرة مركزة ومكثفة وشاعرية الاسلوب وكثيرا ما نجد جملا موزونة ورواياته أيضا جاءت مستفيدة ٠ من أدوات الشعر الفنية ومن أساليب الفنون الأخرى ٠٠ وروايته « كنوز قارون » صورة لهذا التركيز والتكثيف لقد بلغت كلماتها حوالى ١١٫٠٠٠ كلمة٠ ونود أن نشير الى أن الكاتب استطاع أن يخرج من مأزق طغيان الشاعرية على القص بمحافظته على التوازن الفنى حتى لا يطغى عنصر على عنصر ٠ والسؤال هل استطاع الكاتب أن يعبر عن أفكاره كاملة فى هذا الحجم الصغير ؟

الرواية رغم صغر حجمها الذى يخرج بها عن المفهوم التقليدى للرواية المتعارف عليها والتى تبلغ أحيانا أجزاء متعددة ٠٠ استطاع كاتبها فى كلماتها الـ١١٫٠٠٠ كلمة أن يقول ما يريده فى القصة المطروحة ٠٠ فالرواية تستوعب

القضية الكبيرة التى لا تهم فردا ولكنها تهم أمة بأكملها ·· وتستوعب عالما بأكمله ·· بمشاكله ·· وتناقضاته ، هذه التناقضات التى تتولد منها البنية الروائية المركبة المعقدة ومنها أيضا يتولد الفعل الدرامى الذى لم يتولد من الصراع بين الشخصيات · بل يتولد الفعل الدرامى من تناقض الأحداث ·

فى كنوز قارون لا توجد شخصيات تتصارع ليتولد من هذا الصراع كما قلنا الفعل الدرامى ولا لتتولد منها بنية روائية مركبة ولكن توجد قضية عامة يطرحها الكاتب ويتحرك بها فى الأمكنة المختلفة والازمنة المختلفة أيضا ليبين مدى قرب وبعد المجتمع من هذه القضية ومدى استيعاب العقل الجمعى لهذه القضية وقدرته على التصرف للخروج من المأزق الذى وضعه فيه الكاتب ·· وهو الخروج من أزمته النفسية والاجتماعية ·· وقدرته على الخروج من دوامة البحث عن كنوز قارون التى ستحل أزمته الاقتصادية الضاغطة ·· قدرته على الخروج من الوهم الذى فرض عليه ، وفرض عليه تصديقه أيضا ليتلهى بوهم الحصول على كنوز قارون عن الواقع المر الذى يطحنه ··

الفعل الدرامى لا يأتى من صراع الشخصيات كما تعودنا ولكنه يأتى من تحرك الجموع المسلوبة للارادة داخل هذا الوهم ·· أى داخل هذه اللعبة الخادعة لأحلام هذه الجموع ·

فالرواية تقوم على محورين : المحور الأول قوى مستغلة مستفيدة تملك كل شيء حتى القرار وقوى مستغلة لا تملك شيئا وبينها لعبة وهمية يلعبها هؤلاء المستغلون عندما يشعرون بخطورة هذه الجموع المطحونة ٠

الفعل الدرامى فى هذه الرواية يأتى من المخالفة بين الحلم والواقع ٠٠ من بين الرغبة فى تحقيق الحلم لحل المشاكل الاجتماعية وبين فشل هذا الحلم ٠٠ من اكتشاف الحقيقة المدفونة فى ثنايا الوهم الذى روج له المستفيدون ومالكو القرار ٠ والسؤال كيف استطاع الكاتب أن يوصل هذا المضمون الكبير ؟ لقد لجأ الكاتب الى أساليب مختلفة لصياغة بنية الرواية ولتوصيل المضمون للمتلقى :

١ ـ استخدام الكاتب الآيات القرآنية التى صدر بها الفصول الروائية التى تبدو للوهلة الأولى انها مقدمة منفصلة عن الفصل المصدر بها ٠

ولكن هذه المقدمات القرآنية اعتمد الكاتب أساسا على الترابط العضوى النفسى والايحاء بوحدوية المضمون فهذه الآيات مرتبطة ارتباطا نفسيا بمضمون الفصل ، بمعنى أنه عندما يصدر الفصل الأول بالآيات القرآنية التى تتحدث عن كنوز قارون يستغنى بذلك عن السرد الطويل لقصة قارون وما حدث له نتيجة طغيانه ، فالكاتب يضعنا مباشرة أمام القضية الأساسية التى عنون بها الرواية

« كنوز قارون » بالأداء القرآنى وما فيه من تركيز وتكثيف٠ فالترابط بين العنوان والآيـــات القرآنية التى صـــدر بها الفصل الأول ترابط معنى يفهم من سياق الكلام ٠

وكذلك فى الفصل الثانى المعنون « بالخروج » يورد الكاتب الآيـات القرآنية الدالة على معنى الخروج ليعيش المتلقى فى الجو النفسى للأحداث القـادمة وما ســيترتب عليها ٠

« ونادى فرعون فى قومه ، قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ٠ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ٠ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائـكة مقترنين فاســتخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين ، فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ٠ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » [سورة الزخرف] ٠ الآيات من ٥١ : ٥٦ ٠

ـ « وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون » ٠ [سورة سبأ] ٠ آية ٣٤ ٠

ـ « فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ولكن أكثرهـم لا يعلمون » ٠ [سورة الزمر] ٠ آية ٥٠ ٠

ـ « وذكر فـان الذكرى تنفـع المؤمنين » [سورة الذاريات] آية ٥٥ ٠

فى هذه الآيات أشار الكاتب رمزا عن الكنوز والذين يملكونها وبين أيضا عاقبة الذين يصدقون طائعين خائفين هؤلاء الفراعنة المتجبرين وبين جزاء من ينكر نعمة ربه ويدعى انها ليست من عند الله ٠

من هذه التركيبة التضمينية للآيات مع الأحداث التى يوردها نتبين ان هناك خيطا نفسيا يربط بين المقدمات القرآنية وبين أحداث كل فصل ٠٠

٢ ــ التقارير والخرائط والهوامش التى تضمنتها الرواية ووظفها الكاتب توظيفا فنيا يدخلها فى نسيج العمل الفنى دون خلل ظاهر ، وقيمة هذه التقارير انها ترسخ فى ذهن المتلقى واقعية الأحداث وصدقها وانها تجذير علمى للقضية يلقى بعض الأضواء عليها ٠٠ وهذا يساعد الكاتب أيضا على الايجاز والرمز بما لا يستطيع أن يفصح عنه اللسان ٠

٣ ــ الحكايات الشعبية والأساطير وارتباطها بذاكرة الشعوب وما لها من دلالات نفسية أيضا فانها تعبير صريح أو رمزى تلجأ اليه الشعوب كمعادل موضوعى تعبر من خلاله عن رأيها تجاه الأحداث التى تمر بها ٠٠ مثل حدوتة الديك الذى يظهر فى منتصف الليل ومن يقتله يحصل على الكنز المخبا تحته ٠

٤ ـ واستخدام التقطيع فى المشاهد أعطى للكاتب حرية الانتقال مكانيا وزمانيـا ومزج الماضى بالحاضر ليلم أطراف القصة كلها وذكر بعض التفاصيل الصغيرة ليدلل بها على الفســاد الاجتماعى الذى استشرى فى المجتمع ٠٠ هذا الفساد الذى يريد المستفيدون أن يصرفوا الناس عنه بهذه القصة القرآنية ولكن الوصول لتحقيقها وهم وعبث ٠

٥ ـ أما اللغة فى هذه الرواية مشكلة لانها جاءت فى مستويات مختلفة : التقارير الصحفية، الأبحاث العلمية، التقارير السياسية ، الوصف ، وهذا كله يتطلب حساسية خاصة فى استخدام اللغة حتى لايبدو التفاوت فى مستويات استخدامها ٠٠ ولكن الكاتب كان واعيا لهذا تماما فجاءت لغته الوصفية متقاربة بصورة أذابت هذا التفاوت اللغوى فى الرواية ٠ ان هذه الرواية تقوم أساسا على التأثير النفسى الذى يمارسه المستغلون على العقـل الجمعى الذى يسهل قيادته تحت تأثير الحكايـات والأساطير التى تخدر العقل الجمعى وتجعله منقادا لا اراديا لتنفيذ ما يطلب منه وعند هذه النقطة تمد مخالبها كما جاء فى ختام الرواية « تمد مخالبها الشوكية فى تجاديف التضاريس الخربة ٠٠ تنتفخ بطون وتنز من مسامات العرق النتن برك الصديد حتى اذا ما انكشف العظام لمعت أسنة المناشير الحادة ٠

ولكن الكاتب ينهى روايته بأن هذه الجموع لابد أن تستيقظ يوما من هذا الوهم المخدر بقوله : « رأيتها خضراء تزرع الأمان فى النفوس ، سـواعد تلوح خلفها المطـر ، يرخ ·· يبعث الثرى من بعد موته وجوه مسـفرة ضاحكة مستبشرة بها يعتدل الميزان وتدور العجلة ثـانية للأمام واثقة مطمئنة ماحقه سنين الخراب » ·

وعندئذ تتهتك ستر الوهم ·· وتنكشف الحقيقة ·· وهذا ما توحى به هذه الرواية ·

ـ جريدة الخليج ١٩٨٩/١٢/٢١ ، الشارقة ·

ترنيمة مسافر على وتر الغربة

عندما يشتد الوجد ويمتلىء القلب بالهم وتثقل الروح بقيود الغربة والاغتراب عن الوطن / الأرض ٠٠ الوطن / الانسان والذكريات ٠٠ تحترق المشاعر فى بوتقة الحزن والقلق والخوف ٠٠ وقد انعكست الغربة المكانية على نفسية الشاعر مما سبب أزمة ذاتية نفسية أصابته بالغربة النفسية المسببة للقلق وعدم الاستقرار والدافعة له دائما الى أن يكون طيرا مسافرا بحثا عن الأمن ٠٠ عن أرض يحط عليها رحاله ٠٠ ويجد فيها لمسة شمس أصيلية ٠٠ همسة ريح تحمل عطر الوطن البعيد ٠٠ انه يبحث عن الوطن فى وجه الحبيبة ٠٠ فى قلبها الذى يأوى اليه ليمنحه الأمن والسكينة ٠

بسكين الغربة عن الوطن ذبح الشاعر عمر أبو سالم ٠٠ رغم هذا يغنى ليظل صوته لحنا فى ذاكرة الزمان يردده القادمون ببشائر المستقبل المضىء ٠٠

نبحر خلف المدن الزرقاء
نحمل تاريخا مخطوطا بالحزن ،
على كف الصحراء
ونعانق غربتنا حين يحاصرنا الأعداء !
نهرب من أعينهم نصمت حين
يكون القول لنا
وننام على خدر الكلمات
نطبق أعيننا نجفو الصحو لنبدأ
رحلتنا عبر توجعنا نقتات
من لحم هزيمتنا نقتات
أودع ذاك الزمان الذى احترقت شمسه
فى فـؤادى
وأذكر كنت أحب بلادى
وأقرأ فى كتب الفصل عنها ..
وأذكر كيف طردت لأنى عشقت — !
زمان مضى صار حلما قديما ،
تفوق فى مدن الحزن

يقرأه العابرون جريده

ومنه تطل شموس بعيدة

تغربت بين البلاد البعيدة أثقلنى الحزن فيك هنا

أعود كشمسك فوق البحار القصية أطلع كل صباح أدل ،

عليك دمى الآن يستعجل الغربة

أغنية الشتوى اقتراب الغربة

أغنية الموسم المتبقى لنا

وتعرفنى أنت يا وطنا فى عيونى يضىء

وأعرف انك الآن نحوى تجىء !!

الوطن عند عمر أبو سالم = أرض / هواء / لسعة شمس / وثمرة برتقال / بسمة طفل من أطفال الحارة ، والحبيبة عنده أيضـا = أرض / شمس / نهر / رمل / صحراء = الوطن · والحبيبة ليست فقـط هذه الصفـات المادية بل هى تجسـيد لكل المعـانى الجميلة : الحب / الضوء / الصفاء / المستقبل المبشر بالأمل · فالحبيبة رمز تتجسد وتتوحد فيه كل الأشياء التى يبحث عنها الشاعر

وأهمها الأمن/الأمان/الأرض، ولذا فهو يتواجد فيها٠٠ يدخل فيها وتدخله ٠٠ يعايشها وتعايشه بعد ما يعبر اليها بعد التوسل والرجاء عبرت اليك بكائى انطفأت على بابك ، (خذينى الى الشمس فيك / اصعدى فى) ، ووجهك سر التفتح فى ، (الآن فيك الرحيل) ، (وجداتك حين افتقدتك ٠٠

كنت أسميك باسمى ، أهاجر كالصحو فيك) ، (ترانى انتهيت مع العمر فيك طويت شباكى) ، (تفتحت فى تفتحت فيك وكنت زمانى) ، (تخدرت كالنبع فى ٠٠ وأمطرت صحراء وجهى) فحرف الجر (فى) تحول عند الشاعر مضافا الى الضمائر الى رمز للمعايشة والدخول والامتزاج والتوحد ٠٠ ويكثر هذا الاستخدام فى الشعر الأردنى شعر الشاعر الأردنى عمر أبو سالم ٠٠

ولأن الشاعر يشعر بالخوف ويبحث عن الأمن نجد الحبيبة تمثل لديه الملجأ الذى يأوى اليه ٠٠ تحولت الى أمل ورجاء تمثل فى أفعال الأمر الواردة فى الشعر (خذينى/ مدى / صبى / كونى / أضيىء / هبينى / عودى / قولى ٠٠) وهذا تعبير عن الاحساس بالوحدة والخوف ٠٠

وهذا التوحد فى الحبيبة يتمثل فى الأفعال التى تجمع الاثنين معا (يقرأنا / لنحترق / نودع ٠٠) ٠

ولقد ذكرنا الشاعر بهذه الغنائية الرومانسية الحزينة المتجسدة فى ألفاظ دقيقة وصور شفيفة تحمل الى المتلقى مشاعر الأسى والوجد بشعراء المهجر الذين جسدوا معانى الغربة ، والحزن لفراق الوطن كما جسدوا المعانى الانسانية عندما انطلقوا من ذاتهم الى رحاب التجربة العـامة ليعطوا تجربة انسانية عميقة ٠٠

وقاموس الشاعر فى هذه التجربة زاخـر بالمفردات التى تجسد تجربة الشاعر : الرحيل / مسافر / مهاجر / الطير ٠٠ الـخ ٠

كما يشـيع فى سفره الصور التضادية : الليـل / النهار / الحزن / الفرح / اقتربى / ابتعدى ٠٠ الظلام / الضوء ٠٠٠

ومن هذا التضاد يخرج الأمل المنتظر ٠

ولهذا نجد الشاعر يكثر من استخدام الألفاظ التى تمثل لديه الخلاص ، والخير ، مثل المطر والضوء واذا تتبعنا لفظة الضوء نجدها وردت بصور مختلفة ٠

أضيئى / تضىء / ضوء / ضواءن / الضوء ٠

وهذا الكلمة اسـتخدمت بصور مختلفة : نثـار من الضوء / فرعا من الضـوء ، منثورا من الضوء / ضـوء

الصبح / فى لغة الضوء ، أو جاءت بلفظة أخرى « النور والشمس » .

الأفعــال :

الشاعر يعيش تجربة انســانية رومانســية التعبير تؤجــج الانفعــالات تجسدت فى الاستخدام الكثير للجمل الفعلية ويتمثل ذلك فى هذه الاحصائية فى ثلاث قصائد :

الفعل الماضى : ٣٨

الفعل المضارع : ١١٤

فعل الأمر : ٢٢ منها (٥٠) فعلا فى قصيدة (قراءة فى وجه حبيبتى) .

وعندما ننظر فى الأفعال المضارعة نجدها تتوزع بينه وبين حبيبته بين ضمير المتكلم والمخاطب (أشرب / أهاجر / أقرأ / أصعد / أمد / أراك / أناديك / أفرغت / أهز .

وتمثل المخاطبة فى الأفعال البادئة بحرف التاء وأفعال الأمر .

ونجد فى بعض هذه الأفعال يتوحد الاثنان (الشاعر + الحبيبة) فى ضمير المتكلم نحن « مثل (نشتبك / نبدأ/

تبحث / نبدأ ‏٠٠) دلالة على الامتزاج الذى ينشده الشاعر مع الحبيبة :

ضائع فى الجهات التى اقتربت والتى ارتحلت فيك ،

يا امرأة تستفز الجراح السخينه

انه العشق سيدتى فلنهاجر معا حيث يقرأنا

الليل فى الرغبات الدفينة

انها النار فلنحترق فى

حشاها نودع ذكرى حزينة ٠

ورغم الحزن الساكن فى القلب ‏٠٠ ونزف الدم المخضب للكلمات فن الشاعر يغنى للأمل القادم / للفجر المخبوء فى رحم الليل :

لوجوه الأطفال أغنى ‏٠٠ للوردة فى أبعد بستان ،

فى وطنى أطلق صوتى وأهلل للأقمار

للمطر الموسيقى ينقر شباكى ‏٠٠ لاصبح على بابى ، أكتب أحلى الأشعار

لعيون امرأة فى وطنى ‏٠٠ لصبايا الحلم بذاكرتى ،

لصغار مدينتنا أرسم عشقى ،

فوق مياه الأنهار

ياما غنيت على أبواب الليل حنينى

ياما جعت وأدمى الحزن بكائى وأنينى

وعبرت دروب الفقر وحيدا واستهلك دمع ، الوطن القاتل والمقتول عيونى ٠

الشاعر عمر أبو سالم يحلم بالوطن من أجل الصغار حتى لا يضيعها نثارا على وجه الأيام فجاء غناؤه يحمل الألم والأمل فى ثنائية ، فيخرج منها الحلم المنتظر ٠

– جريدة الخليج ، الشارقة ، ١٩٨٩ ٠

الدلالة الشعرية
وايحاء الألفاظ فى قصيدة
« هى الشجرة ·· هـذا النهر »

مقدمـــة :

عندما يتكشف النص الأدبى وتنزاح ستر رمـزه وتتبدد سحب الغموض المغلفة له نتيجة للتقنيـات الفنية لبنية النص بعامة وللشعر بخاصة لما له من خصوصية تميزه عن باقى الأجنـاس الأدبية عندئذ تتحقق المتعة بنوعيها : الفنية والفكرية ·

والنص الأدبى بما أنه نص قولى يعتمد على اللغة يحتم الاهتمام باللغة كأداة توصيلية وكعنصر يثرى النص ويكسبه دلالات متعددة تفرض على المبدع أن يبحث عن لغة جديدة يتفجر من خـلالها النص الأدبى مسـتغلا ما فى اللغة من تعددية الدلالات من نفسية واجتماعية ·· الخ ·· مما حولها الى اشـارات كما يقولون « اللغة نظـام اشـارى يعبر عن الأفكار » ·

هذا التحول الوظيفى للغة دفع المبدعين الى الانطلاق من اسار اللغة القاموسية الى رحاب اللغة الفنية المتعددة الدلالات وجعلهم حريصين فى اختيار الألفاظ وحريصين أيضا على مكانها فى السياق لتمتين البنية الفنية للعمل الأدبى ·

ان النص الأدبى الحديث الذى تحول كما يقول سوسير الى نسق من الاشارات المعبرة عن الأفكار ، مما يجعل الفن كقول موكارفسكى يتحول الى اشارة مبينا أن هذه الاشارة لا تكتسب أهميتها لكونها أداة أيصالية للمعنى وانما لكونها أداة جمالية وبهذا يؤكد موكارفسكى أن الاشارة الفنية تشارك الاشارة اللغوية فى فرز المعنى وتوصيله مما جعل لكل فن اشارة جمالية وأخرى ايصالية·

أمام هذا التحول الذى ألمحنا اليه لم يعد النص الأدبى ذلك النص الذى يكشف عن مكنونه بسرعة بل أصبح النص الأدبى يحتاج الى قراءة متأنية بل أكثر من قراءة وليس هذا فقط ولكن أصبح فى حاجة الى معارف متعددة تمكن من اكتشافه بل أصبح يحتاج أيضا الى معايشة تقمصية تساعد فى الكشف والتنوير ·

انطلاقا من هذا المفهوم التجديدى للنص الأدبى حاول المجددون ايجاد علاقات جديدة فى النص الأدبى جعلتهم

يثورون على اللغة القاموسية ·· وعلى طريق التجديد هذا خرج الينـا العـديد من النصوص الأدبية الحديثة أثبت أصحابها أنهم مدركون لما يفعلون ادراكا يحميهم من الشطط الذى يقـع فيه المقلدون المسـيئون دائما الى كل تجربة جديدة ·

هذه مقدمة فرضتها على دراسة لنص شـعرى جديد لأضع بعض الاشارات على طريق الدخـول الى هذا النص الذى يعبر عن تجربة صـوفية « هذه الشـجرة ·· هذا النهر » للشاعر رأفت السويركى وهو ليس شاعرا فقط بل ناقدا على دراية كما نقول بسر الصنعة الشعرية ولذا جاء نصه الشعرى فعلا تعبيرا عن هذا الوعى بقوانين النص الشـعرى الحديث ، ومعبرا أيضـا عن قدرته كشـاعر مرهف ·· ذى حساسية تتبدى فى اختياره للألفاظ ··

فى هذا النص حاولت أن أكتب ما يوحيه الى النص وما استشفه باحاسيسى حتى أتحرر واحرر النص من قسرية المفاهيم المسبقة التى قد تفرض تفسيرات غريبة عنه لأن هذا الفرض القسرى ليس فى صالح النص الأدبى ، وأعتقد أن الدخول لمثل هذه النصوص الأدبية وفق تصورى هذا الذى يتطلب المعـايشة الكاملة يعين على الولوج فى عـالمه واستكناه أسراره ·· وكان هذا طريقى اليه وان بدا هذا الدخول غريبـا ·

★★★

دخــول :

فى البدء كانت الكلمة ٠٠ ومن رحم الكلمة هذه جاء الانسان ٠٠ من بين الكاف والنون ٠٠ كاف الكينونة ونون القدرة الالهية « نحن » من كينونة الكاف جاء الكون بما فيه بأشــكاله المختلفة ترمــز كل منها الى الحياة ، وهى على اختلافها يجمعها علاقة ترابطية خفية تدفعنا الى البحث عنها وفيها لاستكناه سرهــا ٠٠ لذا كان مثــلا تشبيه الانسان الكامل بالشــجرة لأنها وحدة متــكاملة فى نوعها : الجذر الساق / الأغصان / الأوراق / الزهر / الثمر ، بل فيها أكثر من ذلك « بذر شــجر يتولد منها » ٠٠ والنهر أيضا رمز آخر للحياة فهو « الممتلك واللاممتلك « ٠٠ هو الحياة نفسها « وجعلنا من الماء كل شىء حى » هى أساسية فى بناء القصيدة وظفها الشاعر كقيمة أساسية تربط النص فى دائرة كدائرية الخلق « والله أنبتــكم من الأرض نباتــا » [سورة نوح آية ١٧] فــالنهر المخلوق واهــب للحيــاة والشجرة رمز لهذه الحياة فهنا علاقة بين الشجرة والنهر ٠٠

علاقة الذكورة والأنوثة وما يترتب عليها من نتاج ٠٠

وكذلك الأرض التى منها خلقنا ٠٠ واليها نعود كما يقول ابن عربى ٠٠ اننا منها وفيها وبالتالى نحن هى ٠

فبدن الانسان بذلك أو نشأته البدنية هى « الأرض » التى يعيش فيها ويكون بذلك كوكب الأرض وبدن الانسان مضمونا واحدا للكلمة أرض » ٠

والمرآة لغة « ما تراءيت فيه من بلور ، وصوفيا مرآة الكون هى الوجود الوجدانى » ٠

هذه المفردات وغيرها تتحول فى يد الشاعر كما فى يد الصوفى الى رموز غامضة اذا كانت منفردة ٠٠ ويتضح معناها من علاقاتها بما جاورهـا من ألفـاظ ٠٠ لهذا كان للشعر الخصوصية اللغوية وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض كما أشرنا سابقا ومن هنا يأتى فهمنا للعلاقة اللفظية بين الشـجر والنهـر عنوان قصيدة رأفت السويركى « هى الشجرة ٠٠ هذا النهر » فى هذه القصيدة يحاول الشاعر أن يقدم نصـا شعريـا يجمع فيه تجربة لغوية لا يتبدى بناؤها الا فى علاقاتها الباطنية وليست فى علاقاتها الظاهرية وبين الشكل الذى اتخذه ليكون دالا على المضمون فى تلاحم عضوى يدخل فى بناء القصيدة ٠

القصيدة تجربة الخصوبة الكونية٠٠ فجاءت المفردات حبلى بهذا المضمون ٠٠ فالشجرة النهر/ والوردة / الرياح/ المرآة وغيرها من المفردات الفاعلة فى تكوين تجربة الخصوبة وتنجلى هذه المفردات بدلالاتها فى العنوان (هى الشجرة ٠٠ هذا النهر) ٠

وبالاضافات التى أضافها الشاعر الى اللفظتين: الضمير « هى » الى الشجرة ، واسم الاشارة « هذا » الى النهر ، والقصيدة من ذلك هو تأكيد الأنوثة الى الشجرة لتحديد

المعنى المقصود هنـا من الشجرة هى الشجرة الكونية ٠٠ الرامزة للحياة والاثمار ، وكذلك تأكيد الذكورة الى «النهر» دلالة للتزاوج والتوحد كجنسين مختلفين ٠

واذا انتقلنا الى المقطع الأول الذى استهل الشاعر به القصيدة :

وجهك فى المساء

وردة الحكايات ولون الوسن

المخبوء فى المرآة ، فى جفن المدى

بهذا المقطع التمهيدى للدخول الى قلب القصيدة يرسم اللوحة ويحدد خلفيتها التى تشى بجوها الرمادى الحالم : « المساء » ، وردة الحكايات ، لون الوسن « عناصر اللوحة ، فبالمساء يحدد الزمن وتحدد أيضا اللون الرمادى المشرب بالحمرة وتبيانـا لأثر هذا الوجـه وما يحدثه ظهـوره من سـعادة ومتعـة وخـدر ، وصـفه بوردة الحكايـــات ، ولون الوسن ، والوردة تعـطى المتعة البصرية فى اللـون والمتعة الحسية فى رائحتها مما يجعـل الخدر يتسرب الى الروح ويجعلها مستسلمة له ، ولاستكمال الصورة وربطا لعنـاصرها اسـتخدم الشـاعر لفظه « لون » مضـافة الى « الوسن » لتجسيد المتعة من الخدر الذى يتسرب الينا عند تسرب النوم الينا وذلك استكمالا للعنصر البصرى من خلال استخدام لفظة « لون » ٠

وفى لفظة المرآة ، وجفن المدى يعـطى البعد والعمق للوحة الفنيـة وفيها أيضا الامتداد اللانهائى خـاصة فى « جفـن المدى » وهذا رمز لامتـداد النهر اللانهـائى عبر المساحات الأرضية ..

و « المرآة » أيضا توجد العلاقة بين الانسان ونفسه.. العـلاقة بين الحقيقة والوجه الآخر لها ، تمثل المواجهة مع النفس واكتشـافها ، وعند الصـوفية ترمز « المرآة » الى الكون جميعه لأن الكون مجلى آلهى لا يرى فيه العـارفون الا صـورة الحـق ، وعلى حضرة الانسان بصـورة عامة ، والانسان الكامل أو القطب بصورة خاصة ، من حيث انه مظهر تجلى الحق سبحانه فى أسمائه الحسنى ـ وعلى الحقيقة القلبية ـ من حيث أنها تتسع لتجلى الحق » ، المرآة فى عموميتها هى العلاقة الرابطة بين الظاهر والباطن البادى فى المواجهة الفردية بين الانسان ونفسه ·

وفى كلمة « الوسن » نجد من معانيها ما يراه الانسان فى رؤيـاه ، ومن معانيها أيضـا ما له دلالة جنسية وهذا ما أشرنا اليه بالعلاقات الباطنية للفظة التى تظهر القيمة الفنية للفظة بتجاورهـا مع الألفـاظ الأخرى ويبدو مدى توافقها مع بقية عناصر اللوحة ·

ومحافظة على الجو العام الحالم الغـافى فى حضن الطبيعة فى ساعة الاسترخاء الخدر وما يتطلبه من هدوء

حرص الشاعر استخدام الألفاظ الهادئة حتى لا يخدش جلال هذا الهدوء فيقول :

ينقشك الهمس على انحناءة الفصول ،

فى اقترابها ، ينبجس السديم عن سر الندى ،

تنكشف الرياح عن عنقودها ..

« فالهمس » لفظة ذات جرس صوتية هامسة يوحى بها حرف « السين » وحرص الشاعر هذا يتبدى أيضا فى لفظة « ينبجس » مما زاد احساسنا بالجرس الموسيقى الخارجى من تتابع حرف « السين » فالانبجاس رغم ما فيه من انفجار ، وتدفق بعد الانحباس دون ضوضاء وجلبة صوتية الذى نجده أيضا فى نطق حرف « السين » التقاء ثم انفراج ، ويأتى بعد ذلك لفظ « السديم » رمز الندى .. فالشاعر اختار الألفاظ ذات الدلالات الحركية الهادئة واستكمل هذا فى « ينقشك » و « تنكشف » .

فبين النقش والنهر وانكشاف الرياح يحدث الالتقاء.. التقاء النهر الزاحف فى جوف الأرض الى آخر المدى المخبأ فيه الوسن .. من التقاء النهر هذا مع الفصول الطبيعية حيث ترتوى فيه الطبيعة العطشى الى النهر فى فصول الجفاف ، فيأتى « الانبجاس » وتتبدل مظاهر الطبيعة حيث تتلاقح الطبيعة بعناصرها : الرياح / الأزهار / الأشجار ..

الطبيعة بأكملها تتهيأ للتخلق بالأمر الالهى « كن » فيكون كل شيء كما يقول المتصوفون « كن هى لفظة أمر وجودى ، لا يكون عنها الا الوجود » — معجم الصوفية — ٠٠ التشرب بعد الامتناع ، والانبجاس بعد الامتلاء ٠

امتزاج : تخلق ٠٠ واستواء ٠

فى المقطع التالى تصوير لعملية التخلق فى الطبيعة التى تحدث حولنا ولا نشعر بها الا من خلال المظاهر الخارجية اللونية كتفتح الزهور والنوار ، ولكننا لا نشعر بما يصاحبها من حركة تكسرية وما يستتبعها بعد ذلك من تخلق ٠٠ حركة داخلية دائمة متفاعلة لا نرى منها الا النتيجة وهى ظهور الثمرة :

تنكشف الرياح عن عنقودها ، والعنب الليلى

يقطر الغناء ، فكرة ، فقطرة ، فرشفة البدء ،

فشلال التمنى ، فانهمار الرعد فى أرائك الفضول ،

فامتناع وجه النهر عن أشجاره العطشى مدى ،

لست موجات خشوعا، واستوى فوق الحروف نورها٠

فيجسد الشاعر حركة الطبيعة الداخلية الخفية عنا بالألفاظ تنكشف، يقطر، انهمار،امتناع، وتلاحقها باستخدام

حرف «الفاء» تصويرا لحركة التخلق فى بدايتها واشتعالها، وانتهائها « بامتناع وجه النهر » بعد ما أدى عملية اخصاب الكون التى تنبعث من النهر الذى ينتهى منها بعد ست موجات أو ستة أيام ، بالأمر الالهى « كن » وبما لها من نورانية تمتلك كل الكون .. تلك النورانية الالهية التى تتربع على العرش بعد انتهاء عملية الخلق ..

واستكمالا لعملية التخلق وربطا لأول القصيدة بوسطها بعود الشاعر الى « الوردة » التى أوردها الشاعر كصفة للنهر يقول :

وأنت كلما غدوت وردة ، يممت وجهك البعيد
شطر لونها ترى لو أنها ، كلمها من خلف ستر
وحجاب حملتك سرها ، سرا يطل وجهك
الموشوم بالرعد على غاباتها الحبلى ، يحط
صدره المسكون بالماء ، معانقا
شفا زيتونة وسرو الجمر طيرا
من تراتيل ، تغنيهم بقبض من شذى
والوعد فى اختلاجة الوقت ، ينوء
بارتعاشة الحروف فى رفيفها ، فيغسل

المدارات من السر المعنى ، بانسياق

الماء بين ضفتيه ، خلسة ، مختبئا

فى ٠ برودة الشوق

لنهر سلسبيـــل

فى هذا المقطع يجمع الذات والصفات،الفاعل والمفعول فى استدارة الضمائر بين « المخاطب أنت » والغائب « هو » النهر المتدفق بالماء المنساب من صدره المحمـــل بالخصوبة الطاهرة المتعطشة اليها الأشجار ، بل الكون كله ، ولهذا حشد الشاعر مجموعة من الألفـــاظ الاحتفـــالية الاخصاب الكونية وعندها يتجلى السر الالهى فى كل المخلوقات ٠

وهى لوحة تجسد حركة التخـــلق الداخلية الدائمة التى لا نشعر بها تجسيدا حركيا هادئا شكليا مائجا بالحركة الداخلية ٠٠ وهو انكشاف السر المعنى الحادث فى عملية التخلق الكونية بالأمر الالهى « كن » الذى جعل من الماء كل شىء حى ٠٠

أما حرف « الهاء » لكلمة « نهر » — التى جعلها خاتمة هذا المقطع فقد جعلها الشاعر تحيط بالمقطعين الأولين احاطة القدرة الالهية بهذا الكون الرحيمة به المدبرة أمره ، وحرف الهاء هو « الحرف السادس والعشرون من حرف المبانى وهى بالعبرانية والسريالية « هـــا » بألف مائلة ، ومعناهـــا

« انظر » ، لأن صورتها فى الأصل تشبه الطاقة التى ينظر منها ، والهاء فى حساب الجمل عبارة عن خمسة من العدد »٠

فالنهر مرآة تنعكس عليها صورة الانسان المتفكر فى خلق الله وكل المخلوقات مرآة لقدرة الله ، وهاؤه نافذتنا التى نطل منها على الكون ٠٠

وبعد المقطع الأول التمهيدى ، والمقطع الثانى الامتزاج والتخلق يختم الشاعر القصيدة بالمقطع التالى :

نبضة الليـلى ،

يقطر الغنـــاه ،

فكرة فقطـرة ،

لشـــلال التمنى ،

فى أرائك الماء ،

وكف المســـألة ٠

بهذا المقـطع المتـكرر دلالة على اسـتمرارية عمليـة الاخصاب فى الكون وديمومتها لاستمرارية الحياة ٠

والقصيدة تتكون من أربـع دوائر متماسة ظاهريـا متشابكة داخليا من خلال تداخل عملية الاخصاب نفسها ، أو ٠٠ يمكن القول انها موجات متتابعة/متداخلة ، والدوائر

الأولى : وجهك فى المساء ‥ / فى جفن المدى ، والدائرة الثانية المتداخلة (ينقشك الهمس‥واستوى فوق الحروف نورها) والدائرة الثالثة (وأنت كلما غدوت ‥‥ لنهر سلسبيل) والدائرة الرابعة (نبضة الليلى‥وكف المسالة)٠

نسق القصيدة والشكل :

بما أن التـأثر بالفنون تشترك فيه حواس الانسان الخمس ولم يعد التلقى من حاسة واحدة فقط حرص الشاعر فى هذه القصيدة على أن يتضافر الشكل مع المضمون كوحدة لا انفصل بينهما فجاءت القصيدة كما هو منشور على شكل شجرة لاحداث الأثر البصرى لدى المتلقى ‥ ليتفاعل النص المكتوب مع الشكل المرسوم ، كما أكد الشاعر دائرية النص كتابة بتكرار المقطع الأخير أكده أيضا بالرسم ، فرسم الهاء دائرة محيطة بالنص ورسم الأسهم الثلاثة الأول عند أول سطر شعرى (وجهك فى المساء) والثانى ينطلق من أسفل لام كلمة (سلسبيل) والثالث يتحول لام كلمة (النهر) الى سهم يشير الى أعلى ٠

كما استخدم الشاعر التدوير فى الايقـاع الشــعرى المتمثل فى بحر « الرجز » وهذا التدوير نلاحظه من أول القصيدة حتى آخرها وبما أن عملية الخلق الكونى تحدث دون أن نشعر بها لذا نجد الشاعر استخدام الألفاظ الحركية ذات الصوتيات مجسدا عملية الخلق حركيا وصوتيا من

خلال الألفاظ التى أحسن اختيارهـا وتوظيفها (يطـل ، الحبلى ، معانقا انسيآق ·· خلسة ، مختبئا ··) وبما أن النص الشعرى يصور عملية لها جلالها يعمل العقل فيها الفكر نجد الشاعر استخدم الأسماء والصفات مما أكسب النص مسحة عقلانية وذلك لأن الأفعـال عندما تطغى على النص كما يقول د· الخزامى « تدل على درجة الانفعال عند المنشىء على العـكس من الأسماء والصفات التى تدل على العقلانية » ولذا جاء اهتمام الشاعر رأفت السويركى بها فى نصه الشعرى حتى يسوده مسحة التفكر والتدبر التى لا بد أن تستولى على المتلقى عند قراءة هذا النص الشعرى ·

(★) المنتدى ، دبى ، العدد ٧١ ، يونية ١٩٨٩ ·

قضـــايا ثقافيـــة

اليـــكم معشر الكتــاب

هذا العنــوان ليس من عندى ولكنه عنــوان وضعه عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ على رأس رسالة موجهة للكتاب ٠٠ ولقد شدنى ما تضمنته من مفاهيم وقيم ما أحوجنا اليها الآن ، الرسالة تبين الصفات التى يجب أن يتحلى بها الكاتب ، وتحدد علاقة الكتاب بعضهم ببعض ، وعلاقة الكتاب بالحكام ، وعلاقة الكتاب بالناس ، ويوصيهم بمراعاة الله فى تصرفاتهم ولنقرأ هذه الفقرات ونتدبرها ٠

– ارغبــوا بأنفســكم عن المطــامع ســنيها ودنيها ، وسفساف الأمور ومحاقرهــا فانها مزلة للرقــاب مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم من الدناءة واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات ٠ واياكم والكبر والصلف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير أحنة وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق بأولى الفضل والعدل والنبل من سلفكم » ٠

ويوصى الكاتب بالرحمة والعطف فيما بينهم فيقول :

« وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه ماله ، ويثوب اليه أمره وان أقعد أحدا منكم الكبر مكسبه ولقـاء اخـوانه فزوروه وعظموه وشـاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته » ٠

« واذا ولى الرجل منكم أوصير اليه من أمر خلق الله أمر فليرقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ، وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكما » ٠

« جعلكم الله معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية ٠ بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، ويعمر بلدانهم » ٠

ان الكتاب أصحاب رسالة سامية فهل الكتاب يقدرون قدسية هذه الرسالة ويقدرون أيضا أنه يجب أن يتصفوا بهذه الصفات التى ذكرها عبد الحميد الكاتب ليكونوا أهلا للرسالة التى يحملونها ، حتى يكونوا قدوة للآخرين وتكون لكلمتهم أثر فى المتلـقين ، فما صـدر من القلب يصل الى القلب ٠

ان الأديب قلب أمته وضميرها الحى ٠

وعقلها الواعى ٠٠ وبصرها الحاد ٠

وبصيرتها الممتدة فى عمق المجهول ليستكشف المستقبل ٠

الأديب حارس تراث الأمة ٠٠ وسجل أحداثها ٠

لذا تتباهى الأمم بما تملك من أدباء ومفكرين لا بما تملك من مصانع ومبان شاهقة لأن الحضارة الفكرية أكثر خلودا من الحضارة المادية ٠٠ لهذا تتباهى انجلترا مثلا بشكسبير ٠

وهكذا لكل أمة أديب لها أن تتباهى وتفخر به ٠

ولأمتنا العربية أن تفخر بأديبها نجيب محفوظ الذى توجت مسيرته الأدبية بفوزه بجائزة نوبل ٠

أن يكرم الأديب فهذا شيء عظيم ، ولكن الأعظم منه أن يكرم وهو حى ليكحل عينيه بتكريمه وليعرف ان عيون أمته ، عيون العالم لا تغفل عن هؤلاء الذين يعطون باخلاص٠

لهذا كانت السعادة الغامرة لهذا التكريم لنجيب محفوظ ٠ ولهذا أيضا سخر يوسف السباعى فى روايته « أرض النفاق » من الأمة التى تكرم أبناءها بعد أن يموت وطلب أن يكرموه — أى الأدباء — وهو حى لأن التكريم بعد أن يموت لن يستفيد به ، وهذا جريا على عادتنا نحن العرب أن نكرم الأدباء والمفكرين بعد فوات الآوان ٠

فهل حقا تحرص الدول على تكريم أدبائها ومفكريها وهم أحياء ليسعدوا بهذا التكريم ‥ ويزدادوا عطاء ·

ان تكريم نجيب محفوظ هو تكريم للأدباء العرب وللأدب العربى وفتح للطريق أمام الأدباء للحصول على جائزة نوبل والتقدير العالمى ، ولهذا فليعمل الأدباء بجدية واخلاص لخدمة أمتهم ·

لهذا لن أتحدث عن نجيب محفوظ الأديب وعن جائزة نوبل التى فاز بها لأن هذا أمر استغرق الكثير والكثير من الصفحات فى الجرائد والمجلات ولأن نجيب محفوظ هو أبو الرواية العربية والمتربع فى قمتها ، سواء شاء الرافضون أو أبوا ، العملقة الفنية لم تأت من فراغ ، لم تأت « بالفهلوة » الدعائية التى يتقنها أصحاب المواهب الضعيفة، ولكن هذه العملقة الفنية شاء أو أبى الرافضون تحققت بالعمل المحترم الجاد الصامت الذى لا يتقنه الا الرجال المقدرون لرسالة الكلمة والمدركون لمكانتهم الأدبية التى وصلوا اليها ، ان نجيب محفوظ لم تصنعه الجائزة ولم يصنع نفسه لها ‥ بل يصنع نفسه لفنه الذى يحترمه ولجمهوره الذى يحبه ويقدره ‥ مهما تطاول عليه ممن قصرت قامتهم عن أن تطوله ‥ أقول لن أتحدث عن أدب نجيب محفوظ والجائزة بل سأتحدث عن نقطة هامة نفتقدها فى هذا العصر الذى يفترس فيه الأخ أخاه ‥ فى هذا العصر الذى اختلت فيه موازين كل شىء من أجل

الحصول على أى شيء ·· وللأسف نكتشف فى آخر الطريق ان كل شيء قبض ريح وان كل شيء يخالف الحق ونظام الكون باطل ·· هذا الجانب الهام هو الأخلاق·· فبالأخلاق تبنى الأمم وبدون الأخلاق تضيع الأمم :

انما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا·

ان نجيب محفوظ يتصف بصفات العلماء ·· العلم والتواضع والقناعة ·· وأذكر موقفين الأول حدث عندما استكتبته للمجلة فاستجاب فورا دون أن يتحدث فى الأمور المالية وموعد دفعها مثلما حدث من بعض الأدباء وكبار أيضا ولكن هنا يتميز كبير عن كبير ·· فى السلوك والأخلاق ، والموقف الثانى حكاه فريد شوقى فى جريدة « البيان » عندما اتفق مع نجيب محفوظ لكتابة سيناريو فيلم وكان نجيب فى بداية تجربة كتابة السيناريو ·· وكانت هناك ملاحظات كان يناقشها مع فريد شوقى ·· بعد الانتهاء من السيناريو قدم فريد شوقى مكافأة لنجيب فكان رده : أنا الذى يجب أن أعطيك ، لقد تعلمت منك كيف أكتب السيناريو ·

هكذا يكون الانسان عظيما ·· درس يجب أن يتعلمه الشباب من سلوك الرجال العظام بعلمهم وبأخلاقهم ليحققوا النجاح فى الحياة ·· وليكن لنا فى نجيب محفوظ ومثله من الأدباء قدوة يسير الشباب على هداها ·· بالحب

للنـــاس جميعـــا بالاخـــلاص فى العمـــل ٠٠ والبعد عن « الفهلوة » لأنها تصنع « بالونات » ولكنها لا تصنع أدباء ٠

ان علاقة الكاتب بالمجتمع علاقة تصادمية ناتجة عن النظرة المثالية للكاتب وواقعية المجتمع ٠٠ ولكن هذه العلاقة تنتج فنا مؤثرا فاعلا فى حركة المجتمع وعلاقة أفراده حيث تخلق ارادة ايجابية تدفع بالمجتمع الى الأمام ، ومثل هذا الفن يكون عنصرا منشـــطا ومثيرا وليس عنصرا تنفيسيا يبدد الطاقة وبعدها يستريح الانسان ٠

وهذا الفن المؤثر لا يتوفر الا اذا توفر للكاتب الحرية ليعبر عما يشعر به وفقـــا لالتزامه بقضايا مجتمعه ، هذا الالتزام النابع من ضمير الكاتب ٠

فى هذه الحالة يكون الفن نوعا من السعى الى معانقة الحرية فى فهم النفس والعـــالم والحياة ، وهذه الحرية لا تعنى الفوضى بل انها محاولة للعثور على نوع من الارادة فى تجاوز الحدود التى ترسمها الحواس ويضعها المجتمع ٠ الفـــن الخـــالق للارادة هو الذى يعبر عن أشواق الانسان وتطلعاته الى مستقبل أفضل ، ويعين الانسان على الانتصار على مشاكله والخروج من الحصار المضروب حوله فالانسان كما يقول هيمنجواى لم يخلق للهزيمة ٠

أما اذا الزم الكاتب وفرض عليه من الخارج فى هذه الحالة يفرز أدبا دعائيـــا سطحيا هـــابطا فنيا لا يؤثر فى

القارىء ولا يحرك فيه ارادة الفعـل عنده ، لانه لا يكون صورة صـادقة لضمير الكاتب ولذا يتحتم على الكاتب أن يكون صادقا مع نفسه ، صادقا مع مجتمعه الذى هو عضو فيه ويحصل منه على نغمته وايقاعه وقوته ٠

ومعاناة الأدباء عديدة ولكن المعاناة الكبرى التى تؤثر فى نفسية الأديب ، وتصيبه بالاحباط هى ألا ترى كلمته النور ، وتظل حبيسة الأدراج ولا تصل الى القارىء ٠٠

عندما نتحدث عن وصـول كلمة الأديب الى القارىء لا نقصـد تـلك المرات القليـلة التى ينشر فيها فى هذه الصحيفة أو تلك المجلة ولكننا نقصد نشر انتاج الأديب فى كتاب ، وهذه هى الخطوة التى أصبحت صعبة وعسيرة فى البلاد العربية بعامة رغم وجـود مؤسسات ثقافية حكومية تبذل جهدها لتحقيق العدالة بين الأدباء خاصة الشبان ٠٠٠ وأصبحت أكثر صعوبة فى الامارات وفى بعض دول الخليج لعدم توفر فرص النشر لهم فى المجلات الأدبية لقلتها ولعدم توفر رعاية الدولة للأدباء رعاية كاملة ولعدم وجود مؤسسات ثقافية حكومية ترعى الأدباء خاصة الشباب مما جعلهم يقعون فريسة لدور النشر الخاصة التى تمتص جهدهم الذى يتحول الى دراهم ، ويخرج الأديب خالى الوفاض وقد خسر « الجلد والسقط » كما يقول المثل أى دفع كل ما يملك من أجل أن يرى انتاجه النور ويشعر بالسـعادة لوصـول كلمته الى القارىء ٠٠٠ وتخفيفـا على الأدباء الجهد المادى والنفسى

وتنشيطا للحركة الأدبية ودفعا للأدباء الى المزيد من العطاء الذى يرفع اسم الوطن عاليا يمكن تحقيق الخطوات التالية :

١ ـ العمل بجدية على انشاء دار للنشر تقوم بنشر أعمال الأدباء دون النظر للربح والخسارة لأن الثقافة خدمة وليست تجارة • ولكن لها دورا هاما جدا وهو نشر التراث الأدبى والفنى والاضطلاع بالأعمال الأدبية الكبيرة كالموسوعات والمراجع والقواميس والتى لا يقدر عليها دور النشر الخاصة التى تعتبر الكتابة سلعة خاضعة للربح والخسارة •

٢ ـ وحتى يتم انشاء دار للنشر يمكن لوزارات الاعلام والثقافة ان تساهم فى نفقات الطبع بنسبة معينة لتخفيف العبء عن الأدباء •

٣ ـ يمكن لاتحادات الكتاب أن تساهم أيضا فى تخفيف معاناة الأدباء وذلك بطبع عدد من الكتب وفق خطة محددة أو دفع جزء من نفقات الطبع كما تعمل اتحادات الكتاب فى البلاد العربية مساهمة فى حل أزمة النشر •

٤ ـ ويمكن للصحف اليومية فى الخليج بعامة والامارات بخاصة ، التى تملك امكانات تمكنها من توزيع الكتاب ان تساهم أيضا فى تخفيف المعاناة عن الأدباء ولو من ناحية التوزيع فقط ، بتخصيص قسم لتوزيع الكتاب حتى لا يعتبر الكتاب عبئا ثقيلا عليها ، وبالحصول على عمولة

توزيع معقولة واتاحة الفرصة لتواجد الكتاب فى الداخل والخارج مدة كافية حتى يأخذ الكتاب فرصته فى السوق ليصـل الى أيدى القراء فمعـروف ان المجلة غير الصحيفة والكتاب غيرهما لكل منها مدة يطرح فيها فى السوق ، ان هموم الأدبـاء كبيرة والهم الأكبر ان يحبس انتاج الأدبـاء ويطويها ظلام الأدراج وقد تطول الفترة وترى النور بعد موته ٠٠٠ فهل ينظر المسؤولون فى الخليج بعامة والامارات بخاصة ، التى يتزايد فيها عدد الأدباء ويثبتون أنفسهم على الساحة الأدبية ، الى هذه القضية بعين الاعتبار لحلها كليا أو جزئيا بشكل يريح بال الأدباء ويرفع عن كاهلهم هذا الهم الأكبر ٠٠٠ نتمنى ذلك ٠٠٠ والله يوفقنا ٠

كم أنت مظلـوم ٠٠ أيهـــا التـــراث

مظلوم تراثنا العربى والاسلامى هذا ٠٠ لكن ان يأتى الظلم من أعدائه فهذا ليس بغريب ، ولكن ان يأتى الظلم من أبنائه فهذا مصيبة كبرى ٠٠ والحقيقة اننى لم أر تراثا لأى أمة تعرض للنقد والهجوم من أبنائها سواء بحسن نية أو سوء نية مثل تراثنا العربى والاسلامى ٠٠ وذلك لان مثل هؤلاء الأبنـاء من الفئة المنبهرة بكل جديد مسـتورد لا يعون ما يدبره أعداء التراث العربى والاسلامى للقضاء على هذه الأمة العربية ٠ ٠باسم التطور أو باسم الحداثة ٠٠ هذه الحداثة التى بينها ادونيس فى حديثه فى قاعة أفريقيا فى أمسيته الشعرية بانها ثورة على كل شىء ، ورفض لكل شىء ٠٠ التطلع الى المستقبل ٠٠

الحداثة ثورة نعم ٠٠ رفض نعم ٠٠ تطلع الى المستقبل نعم ٠٠ ولكن ان تكون الثورة على العقيدة ليـكون الأديب ملحدا ليتحرر من قيد الدين كما يدعون ٠٠ حتى يحقـق

الانطلاق الى المستقبل فهذا مرفوض ، ان تكون الحداثة ثورة ترفض التراث كلية أو الأخذ منه بما يخدم الأغراض الخبيثة الهدامة ٠٠ فهذا مرفوض أيضا ٠

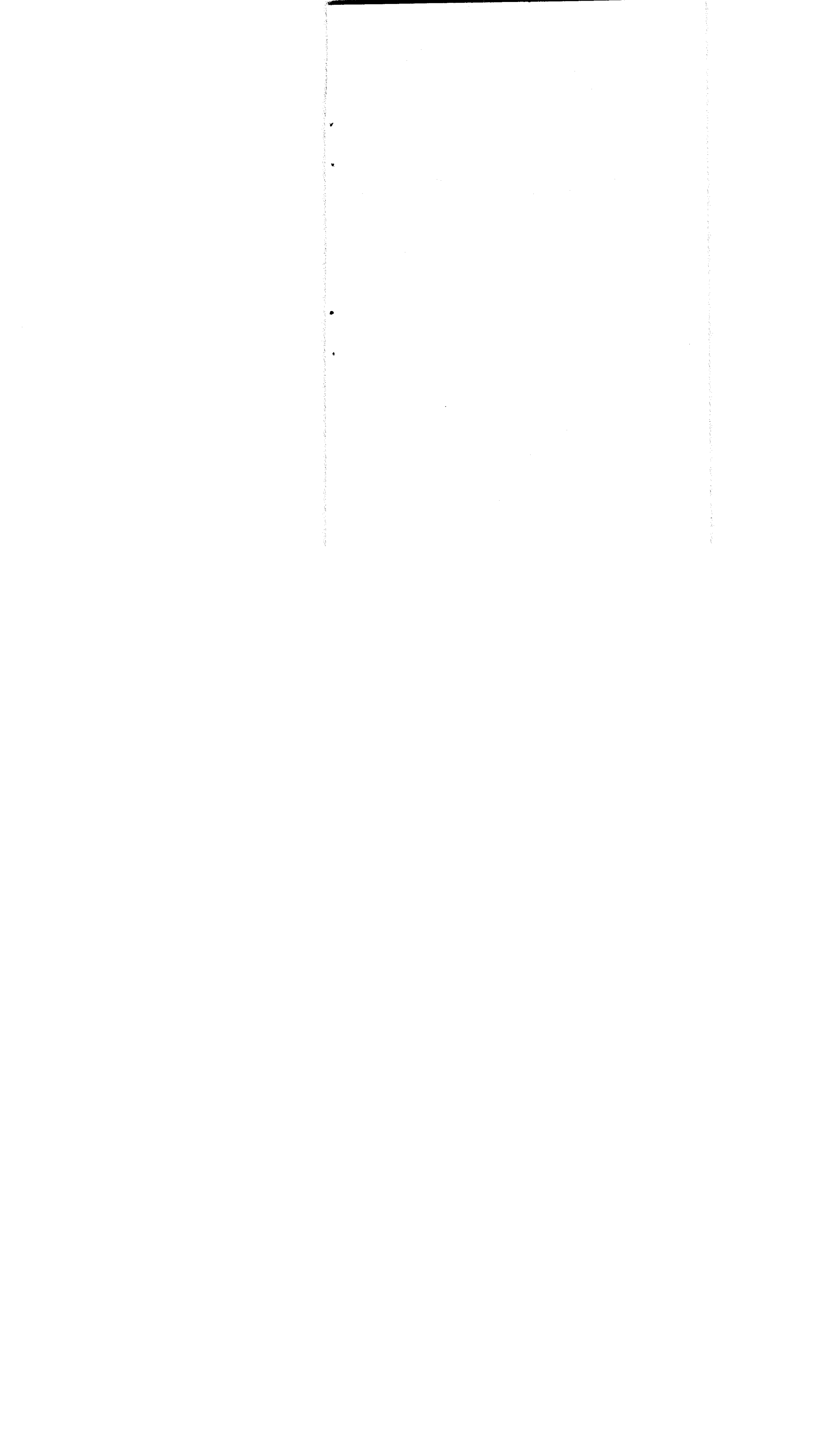
ان صـلة الأجيـال الجديدة بتراثها صـلة ضعيفـة وغـريبة ٠٠ العجيب ان الذين يحاربـون تراثنـا العربى والاسلامى من الغرب أو الشرق ويشجعون اتباعهم من أبناء هذا التراث لا يفعلون ذلك مع تراثهم ٠٠ فالانجليز مثـلا يهتمون بتراثهم اهتماما كبيرا ويحرصـون على أن تكون أجيالهم الجديدة على صلة مستمرة بتراثهم، فأعمال شكسبير مثلا يصدرون منها طبعات مختلفة فترى طبعة للمتخصصين وطبعة للشباب باسلوب يناسب أعمارهم ، وطبعة أخرى للنشء باسلوب مبسط ٠٠ حتى تنشأ أجيالهم الجديدة على صلة قوية بتراثها وليست غريبة عنه ٠٠ تحبه وتحترمه ٠٠ أما تراثنا نحن فيغرسون فينا كراهيته واحتقاره ٠٠ اننا حقل تجارب ثقـافى لنظرياتهم وأفكارهم كما اننا حقـل تجارب لكل جديد من سلاحهم ٠٠

أما آن لنا نحن المخدرين أن نفيق من خدرنا ونخرج من دوامات الضياع التى يغرقنا فيها أعداء تراثنا العربى والاسلامى ٠٠ باسم التطوير حينـا ، وبـاسم البحث عن الهوية حينا آخر ٠٠

تصوروا أيها الأخوة الى أى درجة وصلنا اليها ببركة المخططـات الخبيثة والتى ينفذهـا فئة من أبناء هذه الأمة

بحسن نية أو سوء نية !! نحن الأمة العربية ذات التاريخ العريق وذات الشخصية والكيان المستقل المستمد من التراث العربى والاسلامى ‥ أصبحنا الآن بلا هوية ‥ والآن نبحث عن شكلنا عن ملامحنا التى ضاعت فى الدوامات المصدرة الينا ٠

لكى نملك أمرنا فى يدنا ونتخلص من هذه الدوامات يجب أن يتنحى عن مؤسساتنا الثقافية هذه الفئة من الرجال المصنوعة عقولهم فى الغرب والشرق هؤلاء الرجال الذين يعيشون بيننا وتحركهم الأيدى الخفية مثل الدمى ‥ كم أنت مظلوم أيها التراث ‥ فمتى نتحرر من التبعية الثقافية لنرفع الظلم عن تراثنا ٠



حـــول التراث
« ابن خلـــدون »

تراثنا كنز لا ينفد معينه يحتاج الى الكثير من جهد المتخصصين والمؤسسات الثقافية لتقديمه فى صورة مقبولة شكلا ومضمونا بمعنى تنقيحه وتبسيطه لنشجع القراء على قراءته خاصة الشباب بل يمكن اصدار طبعـات مختصرة ومبسطة جدا للأطفال فى مراحل أعمارهم المختلفة لنصل الطفل بتراثه ونربى فيه الذوق التراثى فيقبل على قراءته كبيرا بشـكل أوسع دون نفـور وهذا ما نراه فى أعمال شكسبير اننا نجد الاهتمام بتقديم أعماله فى طبعات تناسب كل مرحلة من مراحل الطفل ٠٠ واعتقد ان مثل هذا العمل ليس صعبا علينا لأن كل الامكانيـات متوفرة ولا نحتـاج ألا التخطيط بين المؤسسات المعنية بالتراث والايجابية فى العمل ٠

ومحـاولة لتقـديم التراث والتحاور معه نقدم هنـا قراءات فى بعض أبواب تاريخ ابن خلدون عل التجربة تلاقى قبولا ممن يهتمون بالتراث فيقبلون عليها ٠

أول ما لفت نظرى حديث ابن خلدون عن مقاصد التأليف سأحاول تقديمها مختصرة وسأحاول ان شاء الله بعد ذلك تقديم النص مبسطا يذكر ابن خلدون ان مقاصد التأليف سبعة هى :

١ ـ استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على ايصاله لغيره لتعم المنفعة فيودع ذلك بالكتاب لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة ٠

٢ ـ شرح ما استغلق فهمه من كلام الأولين فيقدم الكاتب الذى فتح الله عليه بإيمانه ذلك للناس لتصل الفائدة لمستحقيها ويقول ابن خلدون ان هذه طريقة البيان لكتب المعقول والنقول وهو فصل شريف ٠

٣ ـ ان يصحح المتأخر ما ورد من خطأ فى كلام المتقدمين ٠

٤ ـ ان يتمم المطلع ما نقص من مسائل الفن ولا يبقى للنقص فيه مجال ٠

٥ ـ ترتيب وتهذيب مسائل العلم التى وردت غير مرتبة ولا منتظمة ٠

٦ ـ ان تكون مسائل العلم مفرقة فى أبوابها من علوم أخرى ينتبه بعض الفضلاء الى موضوع ذلك الفن ويظهر به فن ينظمه فى جملة العلوم ٠

٧ ـ تلخيص أمهات الكتب وايجازها وحذف المتكرر ويقول ابن خلدون « بالاختصار والايجاز وحذف المتكرر ان وقع مع الحذر من حذف الضرورى لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول » ٠

هذه مقاصد التأليف الشريفة فهل يتبصرها العقلاء ٠

الرسائل الاخوانيـــة

تحظى الرسائل الاخوانية ومذكرات الأدباء والكتاب باهتمام النقاد والدارسين باعتبارها تراثا فكريا ووثـائق تعين على فهم ما استغلق فى عالم أى أديب أو كاتب ٠

وليس هذا فقـط ولكنها تلـقى الضـوء على نوعية العلاقـات بين الأدبـاء والكتاب واسلوب تعاملهم ، وتعتبر أيضا مرجعا لدراسة أى عصر من العصور اجتماعيا وسياسيا وأدبيـا ٠

والتاريـخ يحفظ رسـائل مى وجبران وما فيها من حرارة العاطفة ورسائل جورج صاند والفريد دى ميسى وقد أشارت الى ذلك الأديبة الجزائرية عمارية بلال (أم سهام) فى مجلة المنتدى العدد ٤٣ ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين الأديب المصرى الكبير محمد عبد الغنى حسن - رحمه الله - وأصدقائه من الأدباء وتعتبر هذه الرسائل صورة من صور البـلاغة العربية ، وكذلك رسائل القـاص المصرى ضياء

الشرقاوى – رحمه الله – مع الأديب السورى فاضل السباعى وغيره من الأدباء وقد نشرت فى مجلة القصة القاهرية .

أقول هذا بمناسبة قراءة مجموعة الرسائل المختارة من رسائل العلماء والشعراء والأدباء وأعلام المستشرقين التى كانوا بعثوا بها الى العلامة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف التى نشرها ابنه الشاعر رياض فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد الثانى والستون – كانون الثانى (يناير ١٩٨٧) وقد نشرت هذه الرسائل فى كتاب طبعت منه نسخ قليلة وقد آثر رياض نشرها ثانية فى مجلة المجمع لتصل الى أكبر عدد من الأدباء ولتعم الفائدة منها .

وهذه الرسائل تعتبر صورا أدبية تجمع بين الاسلوب النثرى الفنى والقصائد الشعرية كما تبين أيضا تواضع العلماء واحترام بعضهم البعض ، ومدى الحب الذى يربط بينهم ولأهمية هذه الرسائل كان يمكن نشر نماذج من الرسائل المخطوطة كما كتبها الأديب بعد حذف الخصوصيات لأنها تقفنا على دراسة اسلوب تفكيره وطريقة كتابته .

ان المذكرات والرسائل الاخوانية تراث أدبى ووثائق هامة تعين الدارسين فى دراستهم للوصول الى فهم عالم الأديب بل العصر الذى نشأ فيه ، ولذلك يجب الاهتمام بنشرها أيا كانت موضوعات هذه الرسائل لانها مهما بلغت

بساطتها فى عيون النـاس العاديين فان لها أهميتها لدى الدارسين ٠

ان كل ما يكتبه كل أديب أو مفـكر ليس ملـكا له ولكنه ملك للتاريخ ٠٠ ملك للأجيال التالية ٠٠ فهل نحافظ على تراثنـا ونحاول جهدنـا أن نولى هذا الجـانب الأدبى اهتمامنـا ٠

لك الله منـا يـا ابن ماجد نحن جيـل الانبهار بكل مستورد ٠٠

لكم الله منا يـا كل رجالاتنـا الذين بنيتم الحضارة العربية وبددتم الظلمات وعلمتم الغرب ونسيناكم ٠٠

لك الله يا تراثنا العظيم منا نحن أبناء الصمت والغفو والخدر والثرثرات الناهشة فى عرضك ٠

لك الله يا تراثنا العظيم منا نحن أبناء هذه الحضارة العربية الاسلامية العظيمة معلمة الأمم والمهملين اياها يلفها التراب فى باطن الأرض وعلى أرفف المكتبات ٠

تصوروا نحن أبناء هذه الحضارة العربية الاسلامية تتسول الآن حضارتنا وثقافتنا من الآخرين ، من قراصنة الحضارات وسالبى المخطوطات المكدسة فى مكتباتهم ٠٠ من هؤلاء الذين يبيعون لنا بضاعتنا المستلبة منا ٠٠ تصوروا

معى ٠٠ وارجعوا بذاكرتكم الى الماضى البعيد جوسوا بخيالكم فى تراثنا العظيم ٠ كما تصورت وأنا أتابع ندوة ابن ماجد ٠٠ لقد ذهلت ٠٠ هل هذا هو ابن ماجد الذى لم نعرف عنه ألا القليل ٠ ما تجود به المكتبة المدرسية أو الدراسات النادرة العابرة عنه ٠٠ ذهلت لأنه أول من وضع علم البحار ٠٠ ذهلت لأن المستشرقين يعرفون ابن ماجد معرفة مستفيضة واعية دقيقة بكل مؤلفاته الشعرية والنثرية ، يعرفون مصطلحاته البحرية ، يعرفون قيمة الحضارية ، انه أول من ٠٠ وانه أول من ٠٠

لقد وضع سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمى يده على حقيقة تكشف عن الغبن الثقافى الذى وقع على ابن ماجد وأمثاله من الرواد من أبناء هذه الحضارة عندما قال فى افتتاح ندوة ابن ماجد « الذى اعتنى به فى الغرب وأهمل فى الشرق ونتمنى للمشاركين فى هذه الندوة كل التوفيق لينتقلوا الى العرب جميعا أمجاد ذلك الرجل »٠ ويؤكد سموه مرة ثانية على ضرورة الاهتمام بتراثنا فى حديثه الذى بثته اذاعة دبى ، لقد طالب فيه المتخصصين العرب بتوجيه مزيد من الاهتمام لدراسة هذه الفترة المهملة من تاريخنا واعادة كتابتها بما يتلاءم مع الحقيقة لتعريف الأجيال الجديدة بحقائق التاريخ ٠

٠٠ وكم من حقائق تاريخية يجب أن تعرفها الأجيال !

بهذه الندوة العلمية عن ابن ماجد التى أعدها اتحاد كتاب وأدبـاء الامارات يثبت صحـة التوجـه النوعى فى النشاط الثقافى وان قل كميا٠٠ودوره الفعال فى التأصيل للحركة الثقافية الصاعدة فى الامارات والكشف عن منابع حضارتنا العربية الاسلامية وهذا فى اعتقـادى هو الدور الأساسى فى هذه المرحلة المؤثرة والفعال لاتحاد الكتاب بدلا من تبديد الجهود فى النـدوات الأسبوعية المحدودة والتى لا يمنع من اقامتها طبعا عندما تدعو ضرورة أو مناسبة ٠



قضيـــــية
« ألف ليلة وليلة »

تراث الأمة جـزء من كيـانها ووجـدانها وأسـاس حضارتها ، فلا يمكن المساس به ولا التغيير فيه الا بمعرفة المتخصصين فى حدود الضوابط العلمية التى تبين حدود التصرف فى هذا التراث حتى لا يـكون عـرضه للعـبث والتشويه بقصد أو بغير قصد ·

والمحافظة على التراث بصورته الأصلية التى وصلت الينا أمر حتمى لأنه وثيقة تاريخية يرجـع لها الدارسون والباحثون لمعرفة تاريخ الأمة وحضارتها ومكانتها الفكرية ·

ولذا فهو ليس عرضة لأى تدخل كما قلنا أو اتهام كما حدث لكتاب « ألف ليلة وليلة » الذى تجرى محاكمته فى مصر بتهمة التحريض الجنسى لما يحـويه من ألفـاظ جنسية ويجب حرقه كما جاء فى مذكرة ضابط الآداب الذى اكتشف بعد مئات السنين هذه التهم ·· ورأى فيه ما لم يراه السابقون العارفون ·

تصوروا ٠٠ كتاب مثـل هذا أثر فى أدبـاء الشرق والغرب وكتبت فيه رسائل جامعية منها رسالة الدكتورة سهير القلماوى يقف فى قفص الاتهام ٠

ان ما يحدث هذا له دلالات عديدة منها : انه يعتبر هذا وصاية على الفكر ، يعتبر هذا مؤشرا خطيرا لحرق كتب أخرى لها قيمتها الفكرية ٠

اننا لسنا قاصرين فكريا ولسنا أقل نضجا من آبائنا وأجدادنا الذين قبلوا كتاب ألف ليلة وليلة وأشعار أبى نواس وبشار بن برد ، وكتاب الأغانى ٠

اذا كان القـانون يعاقب كل من حـاز مطبوعـات ورسومات منـافية للآداب العـامة بقصد افساد الأخـلاق العامة ، فان هذا لا ينطبق على كتب التراث والكتب العلمية التى تخدم البحث العلمى ٠ ان خط شهرزاد سيىء لوقوعها صدفة فى يد ضابط الآداب الذى أوقفها فى قفص الاتهام ويريد أن يسكتها عن الكلام المبـاح وهى تهنىء فقه اللغة للدكتور لويس عوض لنجـاته من الحرق لأن الصدفة لم توقعه فى يد هذا الضابط ، رغم احتوائه على ألفاظ جنسية وأفكار ضد العرب والاسلام ٠ أليس هذا مخزيا ٠٠ نطالب بحرق تراثنـا بأيدينـا فى الوقت الذى يشيد به العـالم وتعتبره دائرة المعارف البريطانية مرجعا علميا ٠

ما رأى الكتاب فى هذه القضية ٠٠ نحن فى انتظار رسائلكم ٠٠

الأدب والسياسة

بين الأديب والسياسى فرق كبير لاختلاف نظرة كل منهما الى العالم ، فالأديب ينظر الى العالم كله نظرة انسانية يدفئها الحب والحنان ·· انه يعمل جهده لتخفيف آلام العالم ·· لان هذا العالم بالنسبة له بيت صغير يفرد الحب عليه جناحيه ، أما السياسى فنظرته الى العالم ، نظرة فيها المصلحة ، كل شيء لديه يقيسه بمقياس المكسب والخسارة، لا مجال للعاطفة عنده ·

وبناء على ذلك كان على الأديب أن يبتعد عن لعبة السياسة وما فيها من تناقضات تؤثر على ولاءاته العقائدية التى تؤثر بالتالى على أفكاره مما يوقعه فى التناقض مع نفسه من جهة،ومع مجتمعه من جهة أخرى فيخرج انتاجه صورة من هذه التناقض ·· نتيجة تأثر قناعاته الشخصية بمؤثرات السياسة المتغيرة ·· وليس معنى هذا اننا نطالب الأديب أن يكون بعيدا عن السياسة أو لا يكون له معتقداته الفكرية والسياسية ·· لا ·· ولكننا نقول انه يجب أن يكون له

قناعاته الشخصية المنبثقة من ايمانه الخاص الثابت وغير المتغير ومن منظور انسانى يفرض عليه معارضته لما يقع من أخطار جسيمة تصيب الانسانية من أى انسان أو من أى جماعة ، حتى ولو كانت هذه الجماعة يدين هو بفكرها السياسى ..

ان قناعة الأديب الشخصية بأفكاره واتزان تفكيره ينقذه من التناقض الذى أشرنا اليه ويجعل انتاجه صورة من شخصيته السوية المتوازنة .

وقد أشار الشاعر محمود درويش الى هذه القضية فى خطابه فى مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين فى الجزائر فى حديثه عن الوحدة المطلوبة وبين أن الثقافة هى العنصر الأساسى فى تحقيق الوحدة ، وطالب المثقف الفلسطينى بل والمثقف العربى بعامة بثبات علاقته مع ثابت موضوعه مع قضيته الأساسية والابتعاد عن الخلافات السياسية التى تفرع القضية وتؤثر بالتالى على قناعاته مما يوقعه فى التناقض عندما يجمع بين الأديب السياسى .

وقال فى خطابه أيضا : ان العلاقة بين« الأدبى والسياسى » فينا فى حاجة الى الرسو على ادراك أكثر جدلية من الادراك الدارج ، اذ ليس فى شروط حياة المنتج الثقافى الفلسطينى ما يوفر ترف هذا التنافر الشكلى .

حقا اننـا فى مرحلة خطيرة تستهدف محو تاريخنـا وتراثنا وشخصيتنا بوسائل الغزو الثقافى واشغال كتاب هذه الأمة وأدبائها عن قضيتهم الأساسية بقضايا فـرعية لا فائدة من ورائها ٠٠ فعـلى كتاب هذه الأمة وأدبائها أن تسـتيقظ فيهم دائما روح الأديب ليعلو فوق تنـاقضات السياسى ٠

يجرنا الحديث عن المؤثرات فى الفكر العربى وأسباب الخلل فى الشخصية العربية الى الحديث عن الاستشراق وتأثيره فى تشكيل عقلية الكثير من المثقفين لا سيما هؤلاء الذين يتلقون العلم فى معاهدهم وجامعاتهم ويقعون تحت سيطرتهم ٠

ودور الاستشراق سياسى ودينى بمعنى انه يخـدم أهداف رجال السياسة وأغـراض رجال الدين المسـيحى ومحاولاتهم التنصيرية فى البـلاد الفقيرة مسـتغلين الفقر القاتل وارغامهم على التنصير ٠٠ وليس ما يحدث فى جنوب أفريقيا مثلا ببعيد عنا ٠

من أجل هذه الأغراض الخطيرة يتبـع المستشرقون وسائل عديدة منها :

١ ــ التدريس فى الجامعة ٠

٢ ــ الاهتمـام بالدراسـات العـربية والاسـلامية والغوص فى تراثنا وفق تفكيرهم ومنهجهم ٠

وبالنسبة للتدريس فى الجامعة تحضرنى واقعة رواها أحد الأصدقاء مؤداها أن أحد الطلبة المصريين كان يدرس الدكتوراه فى أمريكا فخصص له الأستاذ موضوعا عن اللهجة الصعيدية .. لماذا ؟ لأن الأستاذ يطلب ما يهمه هو ومؤسساته السياسية والعلمية التى تستفيد من مثل هذه الدراسات لتوظيفها فى خدمة أغراضها التخريبية ثقافيا والتى يقوم بها علماؤها المستشرقون غير المنصفين الذين يعيشون بيننا يلبسون لباسنا ويتكلمون لغتنا مثل « سنوك هورجرونيه » عالم الاسلاميات الهولندى الذى أقام فى مكة وانتحل اسما اسلاميا هو « عبد الغفار » وغيره كثيرون .

خطورة المستشرقين أنهم باسم العلم واتباع المناهج العلمية يتسللون الى تفكيرنا، ويسيطرون على العقول وصولا الى هدم حضارتنا الاسلامية وتشويه الاسلام عصب الفكر العربى والبناء الأساسى للانسان العربى .

وهناك خطر آخر يزحف بدأ فى الغرب وهو التحرك اليهودى لتهويد الشباب فى الغرب باغرائهم بشتى الوسائل لاستخدامهم فى حربهم مع العرب .

يقول سبحانه وتعالى : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه

فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة ١٢٧ ٠

وحديثى هذا ليس تجنيا على المستشرقين ولكن الحقيقة المسجلة فى التاريخ أحببت أن أسلط عليها الضـوء حتى نأخذ حذرنا ونستيقظ من غفلتنا ، ولا يمنعنا هذا أن نذكر جهود بعض المنصفين فى دراسـاتهم عن العرب والاسلام وأفادوا العرب بأبحاثهم القيمة سنعرض لهم أن شاء الله ٠

دور الترجمة والتعريب
« فى الحركة الثقافية »

صدر عن اتحاد كتاب الامارات رواية «الرجل العاشر» ترجمة الصديق مصطفى كمال ٠٠ والحديث عن الرواية يجرنا للحديث عن الترجمة والمترجمين ودور المؤسسات الثقافية فى الاهتمام بالترجمة ٠

تعتبر الترجمة نافذة نطل منها على الثقافة العالمية والوقوف أولا بأول على أحدث ما تخرجه المطابع العالمية ٠٠ ويرتبط نشاط الحركة الثقافية بعامة وفى المجتمعات التى تمر بالمرحلة التأسيسية بخاصة بحركة الترجمة ٠٠ فكلما نشطت حركة الترجمة نشطت الحركة الثقافية لانها ترفدها بكل التيارات والاتجاهات الحديثة الأدبية والفنية والعلمية التى تؤثر تأثيرا كبيرا فى أعمال الكتاب والأدباء والعلماء ٠

ولذا كان الاهتمام بالترجمة ضرورة تقتضيها المصلحة الوطنية فعلى المؤسسات الثقافية المحلية والعربية أن تهتم بها حتى يمكن انجاز المشروعات الثقافية الكبيرة التى يعجز

عن انجازها أفراد ، ونأمل أن تهتم المؤسسات الثقـافية المحلية بوضع خطة عامة تهتم وتنظم الكتب المطلوب ترجمتها حتى لا يترجـم كتاب مرتين أو أكثر كما نرى فى البـلاد العربية وتهتم الخطة أيضا بالمشروعات الكبيرة كالموسوعات وغيرها ٠

والترجمة ليست كما قد يتصور البعض عملا سهلا ولكنها عمل صعب يحتاج الى جهد كبير وصبر ودقة واناة وثقافة واسعة وفهم صحيح للنص حتى يستطيع المترجم أن يغوص فى أعماق النص والصديق مصطفى كمال فى ترجمته لرواية « الرجل العاشر » وفى ترجماته العديدة الأخرى فى مجال الأدب والسياسة تدل على تقديره لمسؤولية الترجمة ومدى الأمانة التى يجب أن يتصف بها المترجمون ويمتاز مصطفى كمال فى ترجمته بالوضوح وسلاسة الاسلوب ٠٠ ان جهده فى الترجمة الذى نتـابعه على صفحـات صحيفة « البيان » يستحق التقدير وليعرف الصديق مصطفى كمال وزملاؤه المترجمون والمؤسسات الثقافية أيضا كاتحاد كتاب الامارات بالشارقة وندوة الثقافة والعلوم بدبى التى يقع عبء الترجمة على كاهلهم الاهتمام بالترجمة كمهمة وطنية وانهم على ذلك لقادرون ٠

من الأدب الجورجى

للترجمة دور هـام ومؤثر فى أثراء الحركة الأدبية والفكرية لانها رافد يمدنا بأحدث ما أخرجته المطابع من الفكر العالمى فى شتى فروع المعرفة ، ولذا نجد انه كلما نشطت حركة الترجمة نشطت بالتـالى الحركة الثقـافية والفكرية خاصة اذا كانت الحركة الثقافية صـاعدة فهى تكون فى حاجة مستمرة الى غذاء جديد يقويها ويدفع بها الى الأمام ٠

وللترجمة رجال فى بلادنـا العربية أفنوا العمر فى محرابها يحملون على أكتافهم عبء مد الجسور الثقافية بين الشعوب وتمتين عرى الصداقة الفكرية بينها لان الصداقة الثقافية هى أمتن وأصدق الصداقات ٠

ومن هؤلاء المترجمـين العـرب الذين يقومـون بهذه الرسالة الثقـافية الأديب السورى نزار خليـل الذى قدم للمكتبة العربية زادا أدبيا جديدا اكتسبت العربية به معرفة جديدة بالأدب الجورجى فقد أصدر حديثا « ملحمة » الفارس

فى اهاب النمر للأديب الجورجى شوتا روستافيلى وتتميز الملحمة بالنزعة الانسـانية وتصوير أجمل معـانى الحب والتضحية من أجل الحبيبة والوطن وتختلف عن الملاحـم القديمة بأن أبطالها من الناس العاديين ، ولكنهم يتمتعون بقدرات ومهارات خاصة تمكنهم من التغلب على مشـاركتهم والانتصار على أعدائهم خلاف ما نعرفه فى الملاحم القديمة باعتمادها على الأسطورة والخرافة والغرابة ونرى أبطالها عمالقة وحيوانات • كما نلاحظ ان المؤلف يستخدم ألفاظا يكثر استخدامها يوميا مثل الوردة والزهرة والسبج ولكنها فى هذه الملحمة نجدها تكتسب معانى أخرى نكتشفها فى سياق الجمل وقد قام المترجم بتفسيرهـا وبيان المقصود بها ، كما ان الملحمة تمتاز بالصور الغريبة الجميلة تدل على قدرة روستافيلى الفنية ومدى تقدم فكره عن كتاب عصره « عصر الملكة تامار » •

والملحمة اقتبس المؤلف موضوعها من قصة فارسية قديمة كما ذكر فى مدخل الملحمة تدور أحداثها فى ديـار العرب والهند تعتمد على الحب والفروسية ويتضح أيضا تأثر المؤلف بالشعر الغنائى العربى والفـارسى والشهامة العربية وروح التضحية والايثار عند العرب • كما قدم نزار خليلى عملين آخرين الأول كتيب يشـتمل على نصـوص شعرية بعنوان الناسك لايليا جافجا فادره ، والثانى قصة شـعرية بعنوان « قدر جورجيا » للأديب نيكولوز باراتـا شفيلى •

وتحكى هذه القصة نضال شعب جورجيا ضد الاستعمار والقصة رغم بساطة شكلها الا انها تجذب القارىء بما تحويه من فكر وبأسلوبها الشعرى الجذاب ·· والقصة تبين ان الأمر شورى بين الحاكم ومعاونيه ·

وبعد حوار جاد عاقل بين الملك ووزيره يتراجع الملك عن قراره ويستجمع شجاعته ويستثير همم شعبه للكفاح·· ليتحقق الانتصار على الأعداء ·

ان هذه الأعمال تعبر عن هم مشترك بين الشعوب المغلوبة على أمرها والتى عانت من الاستعمار الكثير ولذلك يجد القارىء العربى نفسه يعايش هذه الأعمال معايشة وجدانية صادقة لانها صورة صادقة لمعاناته ·

اللغة العربية لغة حضارية قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ، ومجامع اللغة العربية تبذل جهودا كبيرة من أجل تعريب المصطلحات العلمية بشكل يسهل استخدامها وهناك جهود أخرى فى بعض الجامعات العربية لتعريب العلوم ليسهل تدريسها باللغة العربية وقد كللت هذه الجهود بالنجاح ·

رغم هذه الجهود التى ذكرناها على مستوى المؤسسات العلمية فى البلاد العربية نجد شيئا آخر فى الشارع العربى ·· نرى اننا مازلنا نردد بعض المصطلحات الأجنبية مختصرة مثل : « اميرتل » ، « امرتاس » ، « أوبيك » وغير

ذلك من كلمات كثيرة تجرى على ألسنتنا رغم أن بعضها مختصرا لا معنى له ٠

والسؤال ٠٠ لماذا لا نعرب هذه المصطلحات ؟ وليس هذا فقط بل لماذا لانعرف البنوك التى تتخذ اللغة الانجليزية لغة رسمية فى مكاتباتها ؟ فى الوقت الذى يعترف باللغة العربية كلغة رسمية فى المحافل الدولية ٠

واذا كنا نهتم بتعريب المصطلحات الأجنبية يجب الاهتمام بجانب ذلك بترجمة اللافتات التى تطالعنا على واجهات المحلات بلغة عربية ركيكة مثل : «الشرق الأوسط» تترجم « الشرق الأوست » ٠٠ ان هذه الأشياء على بساطتها تمثل خطورة على اللسان العربى وعلى الأجيال الناشئة ٠٠ فعلينا أن نحمى اللسان العربى من العجمة ونحمى أجيالنا من الركاكة والضعف ٠

آمل أن يتدارك المسئولون الأمر قبل أن يفوت الأوان ولا نملك الا البكاء وقتئذ على أبنائنا ٠

ونكون بذلك نساعد مجامع اللغة العربية فى أداء رسالتها المقدسة لحماية اللغة العربية ٠

شـخصيات أدبيــــة

خليـــل الهنـــداوى

خليل الهنداوى واحد من الأدباء الذين أثروا الأدب العربى بالكتابات المتعددة المختلفة فهو ناقد وشاعر وكاتب مسرحى ومترجم وكاتب مقالات أدبية وللأسف لم يصدر من مؤلفاته هذه المتعددة ألا القليل ولا يعرف عنه أبناء هذا الجيل أيضا ألا القليل ·· وخليل الهنداوى واحد من أبناء جيله الذين عاصروا طه حسين والعقاد والزيات فكان فيه قلق طه حسين والتطلع الى الجديد وجدية أحمد حسن الزيات والعقاد ، وهذا يفسر لنا ما نراه من جرأة فى أفكاره خاصة الدينية وما هى ألا جرأة المفكر للخروج من قوقعة القديم ولنا حديث آخر فى هذا الجانب تفصيلا ·

ولد خليل الهنداوى عـام ١٩٠٦ فى صيدا ويقول خليل عن يوم مولده فى مذكراته « أما التاريخ فيبدو انه وضع ترجيحا لأن أهل ذلك الجيل كانوا لا يهتمون بتقصى تاريخ الولادة الصحيح أما اهمالا فى ألتبليغ ، وأما التفاتا الى بعض الاعتبارات ، فتراهم يجنحون الى التقديم طمعا فى

تقديم السن التى تسمح بالعمل ، أو التـأخير هربـا من العسكرية التى كان يفرضها حاكم غريب » ٠

« واذا صدق هذا التاريخ فلا بد أن يكون مولدى فى مطلع ١٩٠٦ لأن أمى حدثتنى بأن الليلة التى لمحت فيها النور ، نور الحياة ، كانت ليلة عاصفة برياحها وأمطارها. وكان والدى رحمه الله مسـافرا على عجلته وقد عـاد تلك الليلة من سفرته موفقا وكان أهل الدار ينتظرون عودته ليحملوا اليه البشرى بمولـد غـلام ذكر وكان والدى فى الثالثة والثلاثين من عمره ووالدتى فى العشرين » ٠

وبهذا يؤكد لنا خليل الهنداوى تاريخ مولده حتى لا نقـع فى حبـائل التخمين كما يحدث دائما عندما يؤرخ للأدباء وهذا أمر طبيعى لأن الأدباء عندما يولدون يكونون مجهولين لا يعلم المسـتقبل ألا الله ولا يلتفت الى تواريـخ ميلادهم دائما يلتفت الى تواريخ وفاتهم ٠

وفى نهاية عام ١٩٣٩ انتقل الى حلب وأقام فيها ، درس فى مدارسها الثـانوية وفى عام ١٩٥٨ ، نقل مديرا للمركز الثقافى العربى ، ثم الى التدريس ، فى عام ١٩٦٥ أحيل الى التقاعد ٠

– رئيس المكتب الفرعى لاتحاد الكتاب العرب بحلب (منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٧٤) – توفى سنة ١٩٧٦ ٠

ومذكراته المخطوطة صورة أمينة لحياته بما فيها من حلو ومر ويقـول عن مذكراته حرصت فيها على الأمانة ، وليس من همى أن أظهر نفسى رجلا نبيلا ، مبرأ من كل عيب ، ولكن همى أن أظهر فيها انسانا ·· مجرد انسان له حسناته وسيئاته ، وتجاربه وخطيئاته ·· انسان خلق قبـل كل شيء من لحـم ودم وعصب ·· وان فى اظهار الانسان كما هو منزلة تجعله اسمى من الانسان الذى يحتال فى خفـاء عيوبه واظهار محاسـنه الصحيحة والزائفة ·· فاقرؤا فيها « الانسان » قبل أن تقرؤوا فيها الأديب ·

لقد التزم خليل الهنداوى فعلا بما أخذه على نفسه فى مقدمة مذكراته بالصراحة حتى يعطى صورة صادقة عن حياته الأسرية والأحداث التى أثرت فى تكوين شخصيته وليعطى صورة صادقة أيضا عن عصره والأحداث الهامة التى عايشها وأثرت فى تكوين فكره وتوجهاته ·

ولم يقف خليل الهنداوى عند حدود سرد الأحداث فقط بل يحللها ويعلق عليها ويقول رأيه ·

وقد صدر له ٣٢ مؤلفـا فى الدراسات والترجمات والمسرحيات منها :

ـ سارق النار مجموعة مسرحيات (١٩٤٥) ، هاروت وماروت (مسرحيتان دمشق ١٩٤٤) فزانز ليست (سيرة فنان ـ القاهرة ١٩٤٩) ، الحب الأول (مجموعة قصص ـ

لب ١٩٥٠) نيتشه (دراسة مترجمة عن هنرى ليشتانبرجر – بيروت – ١٩٥٤) ، شريان (سيرة فنان – بيروت – ١٩٥٦) .

ومؤلفاته المخطوطة فى الدراسات الأدبية والشعرية والقصة عديدة نأمل أن ترى النور قريبا لتكون بين يدى القراء والدارسين ، نذكر منها :

سيرة حيانى (جزءان) ، مسيرة العمر (مجموعة شعرية ، مجموعة قصص عربية ، فى مدينة الجياع (مسرحية) ، أحياء علوم الدين للغزالى مختارات .

لقد أثرى خليل الهنداوى المكتبة العربية بمؤلفاته المتنوعة وله أثره بأفكاره التجديدية لتطوير المجتمع وهو فى ذلك صوت من تلك الأصوات التى عاصرته واتسمت بالجرأة بالأفكار المثيرة للحيوية والدافقة لنهر الحياة الى التجديد مما جعلهم يثيرون حولهم الكثير من الجدل المنشط للحياة الفكرية فى عصرهم .

اتسم فكر خليل الهنداوى بالجرأة بحثا عن الجديد الذى يسهم فى تغيير المجتمع ... وهذه الجرأة الفكرية ليست غريبة عن الكثير من الكتاب العرب الذين عاصروا خليل الهنداوى نظرا للظروف السياسية التى كانت سائدة آنذاك .

الحرب العالمية الثانية ، الصراعات العالمية للسيطرة على الشرق الأوسط ، والصراعات المحلية للوصول الى السلطة ٠٠ الظروف الاجتماعية السائدة بتناقضاتها ، وصراع بين قديم راسخ يفرض نفسه وجديد يتشكل يريد أن يأخذ مكانه ٠

فى هذا العصر وجد خليل الهنداوى كما وجد عميد الأب العربى طه حسين وأحمد حسن الزيات وعمر أبى ريشة والعقاد ٠

واذا كانت جرأة خليل الهنداوى دفعته الى التجرؤ على الدين بغية التحرر الفكرى ٠٠ فانى أعتقد أن هذه الجرأة نتيجة القلق الذى عاناه أمثاله من الكتاب فى عصرهم المضطرب الذى تتقاذفه رياح القلق٠٠ ولهذا سرعان ما يعود الكاتب الى الحق ويتوب ويعترف بأن هذه الجرأة الفكرية على الدين ما هى الا شطط عقلى ٠ المهم انهم كانوا صورة صادقة لعصرهم ٠

وقد اعترف خليل الهنداوى نفسه فى مقدمته لمسرحية « هاروت وماروت » فيقول على هذه الطريقة كتبت « هاروت وماروت » فى ظروف من حياتى مضطربة ولذلك جاءت تحمل قلقى الباطنى وطموح نفسى ٠ والقوة الأولى ميدان طبيعى لمثل هذه العوامل المتصارعة وسيجد بعض القراء فيها ما يتجاوب وخواطرهم ويعبر عن قلقهم السامى وسيثير فى بعضهم امتعاضا لأن فكرتها جريئة صريحة على

أن ما ينصب فيها من شك ويقين ، وفكر وايمان هى خواطر يجب نقلها بأمانة اذا أردنا أن نمثــل نفسية ذلك العصر ونفسية عصرنا أيضا » ٠

أمثال هؤلاء الكتاب يتحملون عبء الريادة والمواجهة ويتحملون أيضا ما يتعرضون له من اجحاف نتيجة هذه الجرأة الفكرية من أجل خلق مجتمع جديد يواكب تطورات العصر ٠٠ والاجتهاد حق ٠٠ فللمجتهد اذا أصاب ثوابان وثواب اذا أخطأ ٠

هل نعيد النظــر فى دراســة أمثــال هؤلاء الذين يتحملون عبء الريادة كما قلت فى ضوء ظروف عصرهم ٠٠ لا شك انه ستظهر ظروف تخفف من حكمنا عليهم ٠

وتتمثل جرأة خليل الهنداوى الفكرية التجديدية فى موقف يثبت التزام الهنداوى عمليــا بأفــكاره وهو عندما اعترض نساء القرية على ظهور زوجته الثانية سافرة فكان جوابه عليهن : انها حرة ٠

كان خليل الهنداوى ينادى بالتجديد ويعلن ذلك فى كتاباته وفى الندوات التى كان يحضرها ولنستمع اليه فى احدى هذه الندوات مع الشاعر عمر أبى ريشة وهو يقول فى محاضرته « لما لا نتطور » ! « كل شىء فى الكون يتطور، فلمــاذا لا نتطــور ، كل شىء يــؤثر فينـــاويتـــأثر الا نحــن فـــلا نتقــدم ولا نتــأخر ، رأيت فى الطبيعــة

الجدول الذى بكر ، تثب الحياة على جانبيه ، بل تصفق على شـاطئيه ، لأنه يجـرى ولا يقف ، لأنه يتطور ٠٠ فلماذا لا نتطور ٠٠ « ويستمر خليل الهنداوى فى عرض مظاهر الطبيعة المتغيرة باستمرار ويتساءل باستنكار وتحفز لماذا لا نتطور ؟ (سيرتى الذاتية مخطوطة ص ٣٢٦) ٠

ولم يكن خليل الهنداوى من هؤلاء الذين يلقون الكلام على عواهنه بل كان يقرن القول بالفعل كما ذكرت حتى يضرب بذلك المثل على مدى التزام الكاتب بأفكاره ٠

ان خليل الهنداوى كاتب عاش عصره فجاءت كتاباته صورة صـادقة لهذا العصر ، وانه ليحتـاج الى المزيد من الدراسات للتعرف بفكره ودوره فى التجديد ٠

ولنا عودة الى خليل الهنداوى مع انتاجه الأدبى ان شاء الله ٠

نجيب الكيـلانى

الدكتور نجيب الكيلانى كاتب اسلامى أثرى المكتبة العربية بالعديد من الكتب المتنوعة : الروائية ، الدراسات الأدبية والاسلامية ، وهو كاتب مخلص لأدبه وفكرته مما جعل أعماله جميعها كأنها عمل روائى ينتظم فكره ورأيه فى الدين والدنيـا بأسلوب يتسم بالعذوبة ينساب فى هدوء فى قلوب القراء لسلاسة الاسلوب واخلاص الكاتب ·· والدكتور الكيلانى يؤثر المناقشة العلمية الهادئة المقنعة بعيدا عن العصبية والتشنج عملا بقول الله سبحانه وتعالى « ادع سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » انه يخاطب العقـل والقلب مسـتخدما الاسلوب القصصى ، كما فى رواياته ، كوسيلة لتوصيل أفكاره للقارىء ·· والاسلوب العلمى المقنع على الأدلة والبراهين ·

ونجيب الكيلانى يقدم كتبه بمقدمات هامة يطـرح فيها بعض القضايا الفكرية التى يشتبك فيها بهدوء مع القارىء محفزا اياه للمشاركة فى المنـاقشة ، ففى كتابه

الجديد الذى صدر حديثا المعنون « الاسلام وحركة الحياة » يصدره بمقدمة يشتبك معها القارىء من أول سطر من خلال الأسئلة التى يطرحها ببســاطة : ماذا أكتب ؟ وكيف أكتب ؟ وهذه الأسئلة مع بساطتها نجدها تثير العديد من القضايا التى تتعلق بالأسباب النفسية التى تدفع الكاتب الى الكتابة ٠٠ وهل الكتابة تنفيس عن الكاتب والقارىء ؟ أم انها اســتثارة وتحريض للقــارىء للاقدام على الفعــل الايجابى ٠ هذه الأسئلة مع بساطتها كما قلت الا انها تمثل اشــكالية جدلية بين الكاتب والقارىء اختلفت فيها الآراء باختلاف مشارب الكتاب واتجاهاتهم الفكرية ولكن نجيب الكيلانى بهدوء يحدد الاجابة من خلال مسار فكرى واضح ٠

والكتابة عنده ليست تنفيسا وراحة نفسية يشــعر بهما الكاتب مجرد التخلص منها ، ولكنها مسؤولية يجب أن يحملها الكاتب بأمانة فيقول « ان خروج الأفكار الى حيز الوجود وتصويرها فى حروف وكلمات وعبارات ليست هى الهدف لان ميــلاد الأفــكار يتطلب بالضرورة مسؤوليات وواجبات وأفعالا كيما تنمو الفكرة وتتحول الى ممارسات وتصبح جزءا لا يتجزأ من الواقع وسمة من سمات الأفراد والجماعــات وتخلق نوعــا من القناعة الايجابية وتحرك الطاقات الكامنة فينا ، وتوجهها الوجهة الصحيحة وتدفــع القافلة الانسانية الى مواصلة السير ٠ وصنع التغيير الى الأفضل وتحقيق المقاصد والغايات الشريفة وتمد الظلال

الواســعة لتوفر للعــاملين والمجاهدين الحماية من هجير المتاعب وقيظ اليأس أو الملل وتمدهم بالزاد والماء روحيا وماديا حتى تبقى الطاقات الانسانية قادرة متجددة فاعلة » ٠

من المنظور الاسلامى ٠٠ الكلمة رسالة — الكلمة فعل فاعل دافع الى التغيير تحقيقا لطموحات الانسان المسلم ٠٠ هذا الانسان خليفة الله فى الأرض لتعميرها ٠

وهذا يخــرج بالكلمة من مدارات الترف والاستمتاع الى مدارات الايجــابية والمسؤولية وهذه مهمــة الكاتب / الفكرة صاحب الرسالة التى لا يحيد عنها ٠

ويحدد نجيب الكيلانى منهجه فى الكتابة :

١ ـ الوضوح بعيدا عن الغموض والرموز الغريبة ٠

٢ ـ الصــدق ٠

٣ ـ الايمان الصحيح ٠

٤ ـ اختيار الوسيلة المناسبة للكتابة ٠

وهذه هى العناصر الأساسية لكل جاد يهتم بتوصيل أفكاره الى المتلقى ليحدث التواصل بين الكاتب والمتلقى ، هذا التواصــل الذى يجعــل الكل فى واحد أمام صــدق القضية ، والأخلاص لها وجدية معالجتها ٠

لقد اتسم فكر نجيب الكيلانى بالحوار العلمى الذى يدفع القارىء الى البحث والتفكير وصولا للحقيقة ٠

ويحدد نجيب الكيلانى الأدب الذى نريده « بأنه الأدب الذى يرتفع بقيم الانسان وأخلاقه لا الأدب الذى يدمر الانسان ، الأدب ليس تدميرا لقيم الفضيلة والايمان ، واشادة أبنية معوجة شاذة ، تؤكد اليأس والتمرد المطلق ، وتفتح أبوابها للمخربين والمدمنين ٠ والأدب ليس « أفيونا » يغرق الضائعين فى جنات زائفة من الوهم والتحلل من الدين والحق والفكر الصحيح أو التجارب الانسانية الرشيدة » ٠

ان كاتبا مثل نجيب الكيلانى الذى التزم بالمنهج الاسلامى فى كتاباته وأثرى المكتبة العربية بعدد كبير متنوع من مؤلفاته يطبع من كل مؤلف طبعات كثيرة توزع فى جميع البلاد العربية وقد ألفت عنه كتب ورسائل جامعية كما شارك فى مناقشات رسائل جامعية أليس من حقه علينا أن نكرمه٠٠ ان نرشحه مثلا لجائزة مثل الملك فيصل المخصصة للقصص الاسلامية ٠٠ انه اقتراح هل يلقى أذنا صاغية لدى المؤسسات الثقافية لتكريم هذا الرجل الذى أعطى ويعطى أدبه وفكره باخلاص وتفان ٠

اسـماعيل صـبرى

اسماعيل صبرى الذى أعنيه ليس هواسماعيل صبرى باشا القاضى وشيخ الشـعراء المعـروف ولكن الذى أعنيه شاعرا آخر متشابها معه فى الاسم ويلقب بأبى أميمة ٠

عمل مدرسا فى وزارة المعارف ورضى من الحياة بما قسمه الله له وانطـوى على نفسه ، واكتفى بانتاجه الأدبى المتنوع ٠٠ ولكنه انزوى فى ذاكرة التاريخ مثل غيره الذين لا يملكون وسائل الشهرة ، فلم يذكره أحد ٠ أما اسماعيل صبرى باشا فقد غطت شهرته على (أبى أميمة) وقد قيل عنه فى أحدث كتاب فى الأسواق « اسماعيل صبرى باشا » لنجيب توفيق انه لم يلقب بشيخ الشعراء لتفوقه فى الشعر عن شعراء عصره ولكن باعتبار مركزه الأدبى ولقبه الرفيع ومستواه الاجتماعى الممتاز ، فقد أغدق على الشعراء وشجعهم وقيل أيضـا انه مع انه لم يكن من أعاظم الشعراء ، ولكن كان ذا أثر خطير فى الشـعر المعـاصر بصفـة عـامة ٠٠ أما اسماعيل صبرى (أبو أميمة) لم يتم تعليمه العالى وهو متعدد المواهب ٠

فأبو أميمة شـاعر وخطاط ورسـام ومترجـم وغنى شعره كبار المطربين والمطربات ، له ملحمتان بلغت الأولى الألف بيت ، والأخرى ستمائة بيت ، يمتاز بروحه الساخرة التى يتغلب بها على همومه ومع ذلك نسيناه .. ولنستمع اليه وهو يشكو من متاعب التدريس حيث يقول :

ليجر القضـاء بأحـكامه ومن يستطيع عناد القدر ؟

•••

دهتنى الليـالى بأرزائها فلازم جفنى البـكا والسهر

خدمت المعارف عهدا طويلا أمينـا وفيـا حميد الذكر

مجدا نشيطا سـليم القوى حليف النجاح حديد النظر

وبعد اجتهادى ثـلاثين عاما أحاطت حيـاتى غيوم الكدر

ومن كلف النفس فوق الذى تطيق احتمالا سـعى للخطر

لذلك كان لارهـــاق عينى من الحظ ما لم أكن انتظر

خبا النور عن مقلتى فانتهت حياة اجتهاد بفقد البصر

كما من شعراء مثل اسماعيل صبرى (أبو أميمة) لا يعيشون فى دائرة الضوء لأسباب خاصة بتكوينهم النفسى وفلسفتهم فى الحياة أو لأسباب عامة تشترك فيها أجهزة الاعلام والنقـاد الذين يقسمون الأدبـاء وفـق معتقداتهم

السياسية فمن وافقهم سلطوا عليه الأضواء وقد لا يستحق هذه الأضوا ءومن خالفهم فى عقيدتهم السياسية تجاهلوه ٠

هل لنا أن نتطهر وننظر الى الأمور بموضوعية تحكمنا الأخلاق ونتخلى عن التعصب الأعمى ٠ وهل يجد المظلومون الانصاف من أجهزة الاعلام فكثير من هؤلاء المظلومين أكثر جودة فنيا وأكثر أصالة من هؤلاء الذين يعيشون فى دائرة الضوء ٠

عيسى اسكندر المعلوف

تحدثت فى كلمة العدد عن رسائل الأدباء والمستشرقين الى الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ونماذج من الرسائل لنساهم أيضا فى تعميم الفائدة بشكل أوسع ٠

عيسى اسكندر المعلوف ولد بلبنان سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م ، وتلقى مبادىء العلوم فى مدرسة القرية ، ثم درس بمدرسة « الشوير » للمراسلين الانجليز ، وأكثر من المطالعة ، وتعلم الانجليزية ، وتولى تدريس الأدب العربى فى عدة مدارس بلبنان وسوريا ، وأنشأ مجلة الآثار سنة ١٩١١ م ، فأصدر منها خمسة مجلدات ، وكتب كثيرا فى الصحف والمجلات ، وجمع مكتبة نفيسة ، وقد استقر فى زحلة بلبنان وتوفى بها سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م٠ وهو والد الشعراء الثلاثة : فوزى « صاحب قصيدة على بساط الريح »وشفيق « صاحب ديوان عبقر » ورياض « صاحب ديوان الأوتار المتقطعة » ٠ شارك عيسى فى « ديوان المعارف » فى الحكم الفيصلى فى الشام ٠ وكان

له يد مشكورة فى خدمة العربية ، وتقديم لغة الكتب المؤلفة والمترجمة . ولما أصبح هذا الديوان المجمع العلمى العربى سنة ١٩١٩ سمى الأستاذ عيسى عضوا عاملا فيه ، وعندما انتقل الى زحلة أصبح عضوا مراسلا للمجمع ، ثم انتخب عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ انشائه عام ١٩٣٣ م .

وله مؤلفات عديدة قيمة منها : ديوانى القطوف فى سيرة بن المعلوف ، تاريخ مدينة زحلة ، الأخلاق مجموع عادات ، بحث فى الخطوط ، تاريخ الأمير فخر الدين المعنى ، الأسر العربية المشتهرة بالطب وأشهر المخطوطات العربية ، نفائس المخطوطات ، « مجلة اللغة العربية بدمشق / يناير ١٩٨٧ ، الاعلام للزركلى جـ ٥ ص ١٠١ » .

واليكم نموذجين من الرسائل لضيق مساحة هذه الزاوية :

من الأديب جبران النحاس أيضا فى تموز ١٩٣٧ .

من الاسكندرية الى زحلة .

أذكى تحياتى .

وافانى كتابكم الكريم وسررت بعودة نجلكم الشاعر الألمعى شفيق ، وبرؤية أحفادكم سلالة بيت العلم وفروع دوحة الفضل ولئن تأخر جوابى فلم يتأخر القلب عن نجواه،

وانى حال ورود اسطركم كنت غارقا فى بحر متلاطم من الأعمال فرجوت أن يفتح الشعر باب العذر :

وردت من المولى السطـور المونقـــه
طلعــت على طلوع شمــس مشرقـه

واعتاقنى عمــل كصــدر أمامنــا الـ
أستــتاذ فالســاعات عنه ضيقـــه

والوقت يجـرى هاربـا وتجـد فى
آثـــاره للشـغل خيـل مطلقـه

الى أن يقول :

وأنــا عن التقصير لم أرجـــع فمن
خجـــلى أذوب كأنــنى فى بـوتقه

فـاذا عفــا الأسـتاذ كانت منـة
أولا فهـل عنـدى لـه الا المقـــه

من حقــه ألا يـرى عـذرى ولـو
انشـأت فى الأعـذار ألف معلقـه

وفى الختام أرجو أن تتكرموا باهداء أذكى تحياتى الى نجليكم الفاضلين شفيق وريــاض واخوتهما الشــعراء الأدباء ، فما فيهم الا أديب وشاعر .

★★★

ومن طاهر خير الله اللغوى :

من بيروت فى ١١/٢٤ شباط ١٩٠٤ ٠

أخذت بكمال الاعزاز رسالتكم الغراء المزدوجة المؤرخة فى ٢/١٥ الجارى وتلوتها بنظر الاعتبار ولسان الشكر لودادكم الاخلاصى وأعجبنى حتى اطربنى ما دبجته قريحتكم الوقادة فيها من التاريخ والتقديرات والتنبيهات التى انعشت آمالى بوجود المتنبهين الى حال اللغة ، وضاعفت عزيمتى للدؤوب فى العمل ، فكانت برهانا ساطعا لصدق ما تحدثنى به نفسى نحوكم قبل الآن ٠

أما ما أشرتم اليه من مباحث الأفعال الثلاثية المجردة، وجموع التكسير ، والكلم الوارد ، فكله قد بحث وقررت أحواله وأحكامه فى أبواب مطولة من الكتاب الذى سيشمل ما يجب وجوده فى لغة المعلم والمؤلف والخطيب والكاتب والمنشىء ٠

دمتم أشرف صديق يفخر بصداقته الداعى الظاهر خير الله ٠

***

اننا نأمل أن يواصل الأستاذ رياض نشر ما لم ينشر من تراث والده من رسائل ٠٠خدمة للأدب والأدباء وشكرا لمجلة المجمع على استجابتها لرغبة الأستاذ رياض ونشرها الرسائل مرة ثانية ٠

محمد مصطفى حمام

الضاحك البـاكى ·· ذو الخلق الطيب ·· المؤمن الذى جند شعره للدفاع عن الاسلام والدعوة الى التمسك بتعاليمه لانه الطريق الوحيد لخلاص البشر مما يعانونه من مشكلات ·· ذو موهبة فياضة ، سريع البديهة ، قادر على ارتجال الشـعر فى أى لحظة يمتاز شـعره بالسلاسة ، والعذوبة ، ومتانة الصياغة ، يقول عنه الأديب ثروت أباظة فى مقدمة ديوان حمام « وانك لواجد فيه الفـن السـامق والعربية الأصيلة والعذوبة الرقراقة » ·

من خلقه الوفاء فى عصر قل فيه الأوفياء ، عصر المادة التى زيفت المشاعر وقبحت كل المعانى الجميلة فى الحياة ·· كما أذلت من نفـوس ضعيفة امتـلكها حب المال والمصلحة الشخصية وهذا مصيبة ·· والمصيبة الأكبر عندما يكون من هؤلاء اناس أصحاب أقلام نراهم يمتطون صهوة الصداقة والشعر لتحقيق مصالحهـم الشخصية ·· وبعد تحقيق ما يريدون تنتهى الصداقة ·· وينتهى الشعر أيضا مطية

الزيف والنفاق ٠٠ ومثل هؤلاء لا يستحقون أى تقدير حتى الدمعة الصادقة ٠٠ يقول حسن زيدان « وحمام انسان قريب الدمعة لا على نفسه،وانما على من يستاهل الدموع»٠٠ ما أكثر الذين لا يستأهلون الدموع فى هذا العصر ٠

ولهؤلاء يقول مستفسرا :

أستغفر الله عن شعرى الذى سلفا
كرهت ما كان درا منه أو صدفا
يا صائغى الشعر كم للشعر سيئة
نجعت نفسى على أثارها أسفا
كم كذب الشعر بالحسنى وأنكرها
وكم تولى الى الطاغوت وانصرفا
أليس منا رجال كان همهمو
أن يقنصوا كل غنم أينما ثقفا
كانوا الدمى جمة الألوان لينة
يظل يصبغها من يصبغ الخزفا

ويقول مصطفى حمام عن الدين :

لا شىء الا الدين يرجع بالفتى
عن أمه أو أخته ويصون

ويكف كف الجائع المحروم عن
ما ليس يملكه فليس يخون

وهو الذى يوحى بنجدة بائس
فترد عنه بؤسه وتعين

والصفح والغفران من آياته
فالذنب بالصفح الجميل رهين

ان الحياة مفازة مرهوبة
النور فيها والأمان الدين

ويقول أيضا :

ثاروا على الشعر اذ جافوا قوافيه
وأنكروا منه أنماطا وأوزانا

وبعضهم هجر الفصحى الى لغة
سوقية ، لأدال الله فصحانا

وسموا العجز تجديدا ومقدرة
وصوروا المسخ والتشويه اتقانا

لا تحسبوا النثر شعرا واعقلوا وخذوا
بالنسخ واعتدلوا ذوقا وأذهانا

ثوبوا الى الضاد واجنوا من روائعها
واسرحوا صورا منها وألوانا
ما أفصح الضاد تبيانا وأعذبها
جرسا وأفسحها للعلم ميدانا

ويقول فى الربيع :

لى وللناس فى الربيع معان
ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر صبانا
وشباب الأرواح والأبدان
وربيع الغوى ساعة لهو
بين خود وخمرة ودنان
وربيع التقى نسك وذكر
وفناء فى الدين والديان
وربيع الجيوب أحراز مال
وامتلاء بالأصفر الرنان
وربيع المصرى يوم خلاص
وجلاء عن مصر والسودان

كم لهـذا الربيــع فلســـفة تحـــ
لـــو وكم للربيـــع من ألـــوان

حقا ‥ كم من الشعراء الممتازين ظلموا ولم يأخذوا حقهـم من التقدير والدراسة من النقـاد من أمثـال محمد مصطفى حمام ‥

ولنا عودة لدراسة شعره دراسة وافية ان شاء الله ٠

***

الفهـــــــرس

الموضـــوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٣٨/١٩٩٥

ISBN — 977 — 01 — 4367 — 7